شِعْرِيَّةُ الإبْداعِ فى شِعرِ السِّجُونِ فى العصرِ العَبَّاسِى استحضارُ الخالقِ والأنا، وتشكيل رؤى وفضاءات أخرى

د. طـه عـلي خـليفـة أحمـد (*)

توطئة:

يمثِّل شعر السجون فى أدبنا العربى واقعًا متميزًا، "ذلك أن هذا الأدب قد خُطَّ وقيل بين جدران السجن القاتمة، وفى سراديبه المعتمة، أو ربما نطق به سجينٌ أمام نَطْعٍ قد نُشر، وسيفٍ قد انتضى"([1]) وهو "أداةٌ فنيةٌ للوعى بمصير الإنسان وتاريخه ونفسيته ووضعه فى المجتمع، فهذا الأدب يشير إلى مواضع الألم والخلل والقهر، وفيه يرى الإنسان نفسه بوضوح"([2]) لذا فهو له سماته الخاصة التى تستحق الدراسة، كـ" العفوية والرمزية والشفافية والصور الإيحائية، وسلاسة اللغة، وطلاوة التعابير"([3]) وهو يعكس حياة الشاعر النفسيّة والفكريّة، وأثر المكان الذى يعيش فيه، فى إثارة طاقاته الإبداعية والفنية الكامنة داخله، والسجن بظلامه وكبته وقهره عامل مهم فى تفجير الكوامن الداخليَّة للشاعر، فهى تجعل من أناه بركانا يوشك على الانفجار، فلا يجد متنفسا سوى الشعر، فهو أفضل تعبير بالنسبة لهؤلاء الشعراء عن خلجات أنفسهم المقهورة، وهذا يساعده على فتح نوافذ إلى العالم الخارجى، الذى ينسيه واقعه المرير والأليم الذى يعيشه، فيصبح بخياله وأحلامه التى ينسجها شعرًا، كأنه يعيش فى عالم الحرية، مما يخفف وطأة الحياة التى يحياها داخل السجن، ومن ثَمَّ تعد هذه النصوص مادة دسمة للدراسات النفسيَّة للشعراء، كما تكشف أيضا عن جوانب الضعف لديهم، حتى عند الشجعان حقًا، أو عند من يدعى الشجاعة والبطولة منهم.

(*) كلية التربية في الغردقة – جامعة جنوب الوادي.

[1] - مى أحمد يوسف: أدب السجون فى العصر العباسى، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة اليرموك- الأردن، المجلد العاشر، العدد الثانى، سنة ١٩٩٥، ص ٨٠-٨١.

[2] - نصر الدين صوالح: مقاربة بنيوية تكوينية مقارنة فى أدب السجون، ط/ الجزائر، سنة ٢٠١٦م، ص ٦.

[3] - شاكر فريد: قراءة عاجلة فى أدب السجون، ط٢/ مطبعة القدس- فلسطين، سنة ٢٠١٢م، ص ١٩.

ومعظم النصوص الشعرية التى وردت إلينا، والتى تشكل مادة هذا البحث، إنما كتبها شعراءٌ سُجِنوا فى العصر العباسى، إما لآرائهم أو لأفعالهم، وإن كان للسياسة الدور الأكبر فى سجن الشعراء على مدار الأعصر، فجاءت أبياتهم مفعمة بالألم والشكوى، وعبرت تعبيرًا صادقًا عن نفس ملتاعة، تشعر إما بالظلم أو الذل والهوان، وتنشد الحرية بأى ثمن.

وقد جاء هذا الشعر متنوع الأغراض، ففيه مناجاة الله، ومناجاة الأنا، وفيه الاستعطاف والرجاء والإقرار بالذنب، وإظهار التوبة والندم، والعتب على الأصدقاء ولومهم، ويمتزج كل ذلك بالشكوى والألم والمعاناة وغير ذلك، إضافة إلى أنه يقدم تأريخا لفترة من حياة الشاعر، تعد من أكثر فترات حياته تأثيرا عليه.

وقد قدَّم لنا الشاعر العباسى رؤيةً واضحةً وصريحةً ودقيقةً لرسم صورته فى السجن، محاولا أن يقدم خيوط تجربة صادقة، مصرِّحًا بعواطفه وأحاسيسه، فهى تجربة عارضة، لكنها قاسية ومريرة، لا تحتمل كذبًا ولا نفاقًا ولا تكلفًا، فهو ليس بحاجة إلى ذلك، فالضغوط النفسيَّة التى كان يحياها كفيلة بإطلاق فيض المشاعر والأحاسيس، وتفريغ شحنة الهموم والغموم التى بداخله، معبِّرًا عن حالته النفسية التى هى أساس الإبداع الأدبى، وهى السبب الأول فى إنتاج فنه، وتجربة السجن تجربة مريرة لا يمكن أن تمرَّ على الشاعر مرَّ الكرام، بل لا بد من البوح، والحديث عن كل شىء، حتى التعبير عن ذلك الصراع المعنوى الأبدى بين السَّجَّان والشاعر، نجده ماثلا فى قصائدهم.

وفى هذا اللون من الشعر يتمثَّل لنا صدقُ العاطفة واضحًا، والتركيز على الهدف أيضا، فالأبيات تخرج من الشاعر هدفها واضح وموجز ومحدد، وغالبًا ما تكون الأبيات بها من الصور البلاغية الكثير، فالعواطف الجيَّاشة المسيطرة على الشاعر، تجعله يحاول بكل جهده أن يظهر حجم المعاناة التى يعانيها، فيلجأ إلى الصورة الفنية من تشبيهات واستعارات، وإلى اختيار الكلمات الموحية المعبرة، وقد أفلح الشعراء العباسيون الذين سُجِنوا فى انتقاء معجمهم الشعرى، الذى جاء مناسبًا لحالاتهم النفسيَّة، وما اعتراها من ضعف، كما أفلحوا فى رسم الصور الفنية التى صورت حالتهم التى كانوا عليها؛ لأن هذا اللون من الشعر-

شعر السجون- "يقوم أساسًا على تصوير نماذج مأزومة مضطهدة فى فترة زمنية محددة"([1]).

كما نجد لذكر الموت حضورًا بارزًا فى شعر هؤلاء الشعراء، فالشاعر الذى يقبع فى غياهب السجن وظلماته، يذكِّره ذلك بالقبر والموت، فهو ميت حى، حاضر الجسد، غائب الروح، ومع طول المدَّة يتمنى الموت، ويرجو حصوله، حتى يتخلص من تلك الحياة البئيسة التى يحياها، ويصور نفسه أنه فى قبر، وأنه يحيا فى الحياة الآخرة، وعند خروجه كأنه يُبعث من جديد، ونجد حضور الموت واضحًا عند أبى نواس وصالح بن عبدالقدوس، إذ نجدهم يشعرون أن الموت أدنى إليهم من الحياة؛ لذا فأكثرهم -إن لم يكن كلهم- بكى واسترحم واستعطف وتوسَّل وذلَّ نفسه، وانتقص من كرامته فى سبيل الحرية، فهو اعتاد على اللهو والعبث والتنقل والحرية، وفجأة يُزجُّ به بين جدران السجون الضيقة، فنجده قد امتلأت نفسه، وتعبَّأ قلبه بالآلام النفسيَّة والجسديَّة، وكان لا بد من علاجٍ لهذه الجراحات النفسية خاصة، فلم يجد وعاء يفرغ فيه كل آهاته وأوجاعه سوى الشعر، الذى يلجأ فيه إلى كل من يجد فيه أملا ليعيد إليه حريته.

وقد تعددت تُهَمُ الشعراء العباسيين التى حُبسوا من أجلها، فمنهم من أُتِّهم باللهو والعبث وشرب الخمر، كما حدث مع أبى دلامة، الذى شرب الخمر، فحبسه أبو جعفر المنصور، ومنهم من أُتِّهم بالزندقة، وإن كانت تهمة الزندقة تهمة مطاطة – لو صح التعبير- ظاهرها كذلك، لكن باطنها أمور سياسية، كما حدث مع الشاعر أبى نواس، الذى حُبس بتلك التهمة، ومن الأسباب الأخرى التى كانت سببا فى حبسهم المكائد والدسائس، وتمرّد الشعراء على كبار رجال الخلافة، ليصبح السبب الأكبر فى حبس الشعراء هو السياسة.

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية البحث وقيمته، فى أنه سيلقى – بمشيئة الله- الضوء على شعريَّة الإبداع عند الشاعر السجين فى العصر العباسى، ويلفت الانتباه إلى أدب السجون" الذى يشكِّل جزءًا لا بأس به من تراث الأدب العباسى، فالاهتمام بالأدب الرسمى، أو أدب الطبقات العليا كان سببًا وراء اختفاء هذا الأدب خلف السطور"([2])، على الرغم من أن لدينا من هذا الأدب "مادة هائلة

[1] - نصر الدين صوالح: مقاربة بنيوية تكوينية مقارنة فى أدب السجون، ص ١٠.
[2] - مى أحمد يوسف: أدب السجون فى العصر العباسى، ص ٨١.

تطالب الباحثين بفحصها، وتحليل خطابها، وتتبع سماتها، وأشكال حوارها مع واقعها التاريخى"([١])، كما يلفت -هذا البحث أيضًا- الانتباه إلى تلك الرؤى والفضاءات التى يصنعها خيال الشاعر السجين؛ تخفيفا لهمومه وآلامه، ويحاول كذلك أن يغوص فى أعماق الشاعر النفسيَّة والوجدانيَّة، وما أصابها من قهرٍ وكبتٍ من أثر التجربة المريرة، وبيان أثر كل ذلك على إبداعه وفنه، وقد تعتبر هذه الدراسة وغيرها شهادة على العصر والمجتمع، وسبيلا لفهم بعض الواقع السياسى والثقافى للدولة العباسية، فبواسطة هذا الأدب يمكن "رصد وضع المجتمعات، وتصوير واقعها، وتجسيد أزمات الإنسان والحرية والقهر والتسلط فيها"([٢]).

ولم يكن الهدف من هذا البحث هو استقصاء أخبار جميع الشعراء الذين سُجِنوا فى العصر العباسى، ونظموا فى سجنهم شعرًا، فهذا أمر يحتاج إلى دراسات متعددة، لا صفحات محدودة المكان، إنما حاولت جاهدًا أخذ أمثلة حيَّة لبيان أثر تجربة السجن فى استحضار الشاعر العباسى لذات الله ولأناه، وفى قدرته على صناعة رؤى وفضاءات تعكس خلود شعره، الذى وُلِد فى قيعان السجون العباسية وظلمتها.

وللإحاطة بجوانب الموضوع وجدتنى أحتاج إلى عدة مناهج مختلفة، منها: المنهج التاريخى لمعرفة الأسباب التى أدت إلى سجن هؤلاء الشعراء، وهذا شىء مهم، فهو يعكس صوت النغمة التى يتحدث بها الشاعر، فإن كان مظلومًا نرى نغمته الشعرية مرتفعة قوية، وإن كان يستحق السجن، نراها خافتة ضعيفة، وكأنها تخرج على استحياء، ثم المنهج النفسى للكشف عن أثر تجربة السجن فى نفسيَّة الشعراء، وانعكاس ذلك على إبداعهم، كما اعتمدت على المنهج الاستقرائى التحليلى لقراءة النصوص الشعرية وتحليلها.

وهناك العديد من الدراسات التى أفادت هذا البحث، وقد تحدثتْ عن شعر الأسر والسجن على مدار الأعصر الأدبية بصفة عامة، لكن -فى حد علمى- لا

[١]- رضوى عاشور وآخرون: أدب السجون "مجموعة مقالات لبعض الكتاب"، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، سنة ٢٠١٤م، ص ١١.

[٢] - نصر الدين صوالح: مقاربة بنيوية تكوينية مقارنة فى أدب السجون، ص ١٠-١١.

توجد دراسة تختص بما قدمته هذه الدراسة، ومن هذه الدراسات السابقة – على سبيل المثال لا الحصر- ما يلى:

١- د.حسن منصور أحمد وآخرون: دواعى سجن الشعراء فى العصر العباسى الأول، مجلة جامعة كردفان للآداب والدراسات الإنسانية- السودان، العدد الثانى، يونيو ٢٠١٣، وبيَّنت هذه الدراسة أهم الأسباب التى أودت ببعض شعراء العصر العباسى الأول إلى غياهب السجن، سواء كانت دينية أو سياسية أو شخصية.

٢- عامر عبدالله عامر: تجربة السجن فى شعر أبى فراس الحمدانى، والمعتمد بن عبَّاد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا- جامعة النجاح الوطنية-فلسطين، سنة ٢٠٠٤م، وقد عقدت الدراسة مقارنة بين الشاعرين؛ لبيان جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما من حيث: أثر التجربة، والأغراض الفنية، والعاطفة، و.... .

٣- مى أحمد يوسف: أدب السجون فى العصر العباسى، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة اليرموك- الأردن، المجلد العاشر، العدد الثانى، سنة ١٩٩٥م، وقد عرضت الباحثة لأهم نصوص أدب السجون فى العصر العباسى الثالث، خاصة النثريَّة، ووجدتْها تقع فى ثلاثة أقسام، هى: المراسلات- المحاورات والمناظرات- الخواطر.

وقد تشكل هذا البحث من توطئة، تضمنت أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ثم قُسِّم إلى ثلاثة مباحث، درس المبحث الأول: استحضار الشاعر السجين لذات الله، ودرس المبحث الثانى: استحضار الشاعر للأنا، أما المبحث الثالث فقد درس الرؤى والفضاءات الأخرى التى صنعها الشاعر لنفسه، ثم الخاتمة التى تضمنت أهم النتائج التى توصل إليها البحث، ثم ثبت بالمصادر والمراجع، ثم الفهرست.

والله ولى التوفيق،،،

المبحث الأول: استحضار الخالق

حيمنا يدخل الشاعر الذى اعتاد على الحريَّة السجنَ، بضيقه وظلامه وكبته، تظلم الدنيا أمام عينيه، وتضيق عليه نفسه، حتى توشك أن تخرج من بين ضلوعه، ولكونه مبدعًا، تجيش أحاسيسه ومشاعره بفيوضات الأدب، يضطر لزامًا أن يخرج مكبوتاته النفسيَّة فى أبياتٍ شعريةٍ رائعةٍ تعبر عن حاله وسط هذا الضيق، ولا يجد من بين هذا العالم كلِّه أحدًا يلجأ إليه سوى الله عز وجل، فهو ناصره ومنقذه مما هو فيه، فنراه يكثر من ذكر الله، وتكرار لفظ الجلالة، والكلمات التى تعبر عن الرضا بقضاء الله وقدره؛ لما يبعثه ذلك من راحة نفسيَّة، وإطمئنان داخلى يتقوى به، ويتصبر على ذلك البلاء الذى نزل به، كما أن مناجاة الله فى سجنه تمثل تعزية لنفسه عن مصيبته التى حلَّت به، وما تركته من أثر سلبى فيها، وفى السجن نجد أفجر الشعراء وأفسقهم يلجأ إلى الله، ويلهج بذكره؛ لأنه أدرك الآن أن الله هو منقذه الوحيد.

والمطلع على شعر الشعراء الذين حُبسوا فى العصر العباسى يلحظ أن سمة استحضار الخالق وردت على ألسنة معظمهم، وبصور شتى، وكلها يغلب عليها طابع الانكسار والذل لله سبحانه، فأبو نواس-ت ١٩٩هـ- الذى عُهِد عنه الخلاعة والمجون أول ما وطئت قدماه أرض السجن رفع عقيرته إلى الله سبحانه، فلا الغلمان تؤنس وحدته، ولا الخمر تفرج همَّه، لا شئ إلا الله، يقول أبو نواس:

يـا ربِّ إنَّ القـومَ قـدْ ظلمُـونِى ... وبـلا اقْتـرافِ معطِّـلٍ حبسُـونِى

وإلـى الجُحـودِ بمـا عليـهِ طـويَّتِى ... ربِّـى إليـكَ بكـذبهمْ نسبُونـى

مَـا كـانَ إلَّا الجرئُ فـى ميدانهمْ ... فى كلِّ خِزىٍ والمجانةُ دِيْنِى([1])

وكان قد اتهم بالزندقة، فـ" الشعراء المتماجنون من أمثال أبى نواس، رغم إحاطة كثير منهم بالإسلام وعلومه، يعرفون مبادئ تلك الديانات- البشريَّة- ومراميها، ويتراشقون التُّهم بها جَدًا ومزاحًا"([2]) لكن يبدو أن هناك اعتبارات

[1]- أبو نواس: الديوان: ت: سليم خليل قهوجى، ط/ بيروت، سنة ٢٠٠٣، ص ٦٦٣.

٢- د.حسن منصور أحمد وآخرون: دواعى سجن الشعراء فى العصر العباسى الأول، مجلة جامعة كردفان للآداب والدراسات الإنسانية- السودان، العدد الثانى، يونيو ٢٠١٣، ص ٢٧٧.

سياسية لحبس الشعراء آنذاك، فقد حبسه الرشيد لما غاظه من عصبيته على النزاريَّة([1])، وهى التى كانت سببا فى حبس الشاعر، بعد أن شهد عليه شهَّاد الزور، وأبوا عليه أن يقدم أعذارًا، أو يحلف أيمانًا – كما ورد فى شعره-وهو نفسه يعترف بفسقه ومجونه، وبعده كل البعد عما يستحق السجن، والأبيات تصور ذُلَّ إبى نواس وانكساره لربه بكل صدق وإخلاص، وقوة عاطفة، فهو يناشد ربه بأن القوم قد ظلموه واتهموه باطلا دون دليل قاطع على زندقته، وقد جاء صدر الشطرة الأولى ليوضح يأس أبى نواس من البشر، فيلجأ إلى رب البشر، وهو الفاسق الماجن، لكن قهر الظلم، وظلام السجن، يستحضرا الذات العلية فى القلب مهما كان صاحب هذا القلب ماجنًا.

وفى الحبس يرضى الشاعر بقضاء الله وقدره، ويوطِّن قلبه على الرضا بما وصل إليه، وأنه لا راد لأمر الله، وهو بذلك يخفف عن نفسه وطأة المصيبة التى هو فيها، ويعزيها بذلك، ويسرى عنها، وقد تمثَّل ذلك فى شعر معظمهم، كأبى فراس الحمدانى-ت ٣٥٥هـ- الذى لا يمكن لدارس يبحث فى أدب الأسر والسجن أن يمر دون أن يعرِّج عليه، وقد حُبس فى أرض الروم لسنوات عدة، حتى ضاقت به السبل، لذا نجد أن استحضار الذات العلية فى شعره تمثل كثيرًا جدا، ومن ذلك ما كتبه إلى أخيه أبى الهيجاء حرب بن سعيد، يقول:

وهل يدفعُ الإنسانُ ما هوَ واقـعٌ   وهـلْ يعلـمُ الإنسـانُ مـا هـوَ كاسـبُ

وهلْ لقضاءِ اللهِ فى الخلقِ غالبٌ   وهـلْ لقضـاءِ اللهِ فـى الخلـقِ هـاربُ

إذا اللهُ لـمْ يحرسْـكَ ممَّـا تخـافهُ   فَلا الدرعُ منَّـاعٌ ولا السيفُ قاضبُ([2])

يستفهم أبو فراس بما يفيد النفى بأن الإنسان لا يستطيع أن يدفع عنه قضاء الله الواقع به، وهو لا يعلم ما ادَّخره الله له، ويتضح فى هذه الأبيات قنوط الشاعر من أصحابه، فلجأ إلى الله- سبحانه- مسلمًا بقضائه، ومؤمنًا بالغيب، وبقدر الله، الذى إن لم يحرسه فلا حارس سواه، وقد كرر كلمتى" قضاء الله" مرتين، خضوعًا وتسليمًا لله.

[1] - د.حسن منصور أحمد وآخرون: دواعى سجن الشعراء فى العصر العباسى الأول ، ص ٢٧٧.

[2] - أبو فراس الحمدانى: الديوان، شرح: د. خليل الدويهى، ط٢/ دار الكتاب العربى- بيروت، سنة١٩٩٤، ص ٤١.

ومن أسره وقد طالت مدته، وثقلت جراحه، يبعث إلى والدته العجوز، يشكو حاله ويعزيها فيما ألم به وبها من مصيبة، وقد استحضر قدرة الله وعظمته، والرضا بحكمه على عباده، مكررًا لفظ الجلالة "الله"، أربع مرات فى ثلاثة أبيات، يقول:

مصابى جليلٌ والعزاءُ جميلُ وظنّى بأنَّ الله سوف يُديلُ

ومنْ لمْ يوقِّ اللهُ فهو مُمزقٌ ومنْ لمْ يعزِّ اللهُ فهو ذليلُ

ومنْ لمْ يردهُ اللهُ فى الأمرِ كلِّهِ فليسَ لمخلوقٍ إليهِ سبيلُ([1])

فمصيبته جليلة حقًا، لا يقوى على تحملها أحد، لكن الشاعر يظن بربه خيرًا، وأنه سوف يزيح عنه هذه المصيبة، ثم يعزى نفسه ويصبرها، مذكرًا إياها بأن مَن لم يقه الله، فلا واقى له، وما لا يريده الله، فليس لأحد عليه سبيل، وفى هذه الأبيات يتحدث أبو فراس الحمدانى "عن ظاهرة فريدة تصيب الأسير، وهى طول ليل السجن"([2])، وقد اهتم الشاعر بالبديع، خاصة فى البيت الأول: "جميل- جليل- يديل"؛ جذبًا للقارئ؛ ليشاركه حالته النفسية المقهورة.

وقريبًا من هذا المعنى -الرضا بقضاء الله وقدره- جاءت شحنةٌ صادقةٌ مفعمةٌ بالعاطفة الحارة، مع براعةٍ فى التصوير، ودقةٍ فى التعبير، من الشاعر على بن الجهم-ت ٢٤٩هـ- وقد كان من ندماء الخليفة المتوكل، ومعه البحترى ومروان بن أبى الجنوب، وغيرهما، فكادوا له حسدا من عند أنفسهم لدى المتوكل، وزعموا أنه ينظر إلى نساء القصر، فغضب عليه المتوكل وألزمه بيته، ولم يسمع منه، وأمره ألا يترك بيته فانقطع عن القصر، ولم يتوقف الندماء عند هذا الحد، ولكنهم أخبروا المتوكل بأن علي بن الجهم شديد الطعن له، ويعيب عليه أخلاقه، فأمر المتوكل بحبسه([3])، وكان أول ما قاله في السجن قصيدة بعث بها مع أخيه إلى المتوكل، يقول فيها :

توكَّلنا على ربِّ السماءِ وسلَّمنا لأسبابِ القضاءِ

---

[1] - أبو فراس الحمدانى: الديوان ، ص ٢٥٢-٢٥٣.

[2] - عامرعبدالله عامر: تجربة السجن فى شعر أبى فراس الحمدانى، والمعتمد بن عبَّاد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا- جامعة النجاح الوطنية- فلسطين، سنة ٢٠٠٤م، ص ١٠٤.

[3] - د.مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء فى العصر العباسى، ط/ دار العلم للملايين- بيروت، سنة ١٩٩٣، ص ٢٥٥(بتصرف).

وأفنيــةُ الملــوكِ مـــحجَّباتٌ وبــابُ اللهِ مبــذولُ الفنـــاءِ
فمـا أرجُو سواهُ لكشفِ ضُرِّى ولـمْ أفـرغْ إلـى غيـرِ الـدعاءِ
ولـم لا أشـتكى بثِّـى وحـــزنى إلى من لا يصمُّ عن النِّداءِ([1])

وقد أحسن الشاعر، إذ بمجرد دخوله السجن لم يرد على خاطره أحدٌ سوى الله، فلم يستعطف خليفةً ولا وزيرًا ليعفو عنه، إنما استحضر عظمة الله وقدرته فى قلبه، وعلى لسانه مباشرة، وناداه فى ألفاظ مهذبة رقيقة، وكلام سهل، نبع من نفس راضية، متوكلة على مدبر أمرها، فالشاعر لا يرجو سواه لكشف ضره، وواضح تأثر الشاعر بقصة سيدنا يوسف -عليه السلام- وشكوى يعقوب النبى إلى الله: "قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ"([2]).

ونلتقى بالشاعر إبراهيم بن المدبر- ت ٢٧٩هـ - وقد كثرت الآراء فى سبب حبس الخليفة المتوكل له، لكن نكتفى برواية أبى الفرج، الذى يروى قائلا:" كان أحمد بن المدبر وَلِىَ لعبيد الله بن يحيى ابن خاقان عملا، فلم يحمد أثره فيه، وعمل على أن ينكبه، وبلغ أحمد ذلك فهرب، وكان عبيدالله منحرفا عن إبراهيم، شديد النفاسة عليه برأى المتوكل فيه، فأغراه به وعرَّفه خبر أخيه، وادَّعى عليه مالا جليلا، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه، وأوغر صدره عليه، حتى أذن فى حبسه"([3])، ومن محبسه قال ابن المدبر أشعارا كثيرة، روتها المصادر التى ترجمت له، منها مستحضرًا الذات العلية قوله:

وعن قَدَرٍ حُبستُ فلا تضِّلى وفيمـا قـدَّر اللهُ الخيـــارُ
سـيفرجُ مـا تـريْنَ إلـى قـليلٍ مُقدِّره وإن طال الإسارُ([4])

فما كان حبسه إلا قدرًا من الله سبحانه، وهو ممتثلٌ لذلك تماما، فمهما طال هذا الحبس سيأتى الفرج، والأبيات فيها استسلام من الشاعر لله، وخضوع لأمره، وعدم إظهار الجزع والخوف.

---

[1] - على بن الجهم: الديوان، ت: خليل مردم بك، ط/ لجنة التراث العربى – بيروت، سنة ١٩٨٩، ص ٨١.
[2] - سورة يوسف، آية (٨٦).
[3] - أبو الفرج الأصفهانى: الأغانى، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت، سنة ١٩٩٦، ج ٢، ص ١٥٤.
[4] - يونس الشيخ إبراهيم السامرائى: تاريخ شعراء سامراء من تأسيسها حتى اليوم، ط/ دار بصرى- بغداد، سنة ١٩٧٠، ص ٢٤.

ونعرِّج على الشاعر أبى العتاهية-ت ٢١٣هـ- وقد حبسه الخليفة المهدى؛ لأنه تغزل فى جاريته "عتب"، ثم حبسه الرشيد، فاستعطفه الشاعر كثيرا ليفرج عنه، لا سيما أنه لم يقترف إثمًا، فقط كف عن الغزل، مرتديا لباس الزهد، والرشيد لم يقتنع بذلك، فيروى الحصرى فى زهر الآداب أن الخليفة هارون الرشيد لما قدم الرقة، "أظهر أبوالعتاهية الزهد والتصوف، وترك الغزل، فأمره أن يتغزل، فأبى، فسجنه .....وأمر بإحضاره، وقال: بالإمس نهاك أمير المؤمنين المهدى عن الغزل فتأبى إلا لجاجًا ومحكًا، واليوم آمرك فتأبى جرأةً علىَّ وإقدامًا؟! فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أقول الغزل ولى شباب وجدة، وبى حراك وقوة، وأنا اليوم شيخ ضعيف، لا يحسن بمثلى تصاب"([1])، لكن الرشيد حبسه، وضيق عليه حتى يقول الشعر الرقيق فى الغزل، كما كان يقول، فصاح أبوالعتاهية فى محبسه:

مَنْ لعبدٍ أذلَّه مولاهُ مالُهُ شافعٌ إليهِ سواهُ
يشْتكِى ما بهِ إليهِ ويخْشاهُ مثل ما يخْشاهُ([2])

لكن الرشيد لا يستجيب له، فيجزع أبوالعتاهية جزعًا شديدًا، ويحاول أن يظهر صبره وجلده على ضيق السجن راغمًا، وأنه ترك جسمه وقوته فى سبيل الله، مادام أراد-سبحانه- ذلك، يقول:

صبرتُ، ولا واللهِ ما لى جلادةٌ على الصبرِ لكن صبرتُ على رغمى
ألا فى سبيلِ اللهِ جسمى وقوتى ألا مسعدٌ حتى أنوحَ على جسمى([3])

قد نفذ صبره، على عكس كثير من الشعراء الذين يظهرون صبرهم وجلدهم، ولا يأبهون بمرارة السجن، حتى لو كان ذلك قولا فقط، لكن أبا العتاهية يصرح بأنه لا طاقة له على الصبر، وأنه بذل جسمه وقوته فى سبيل الله، استعطافًا للرشيد الذى ضيق عليه الحبس تضييقًا شديدًا، فلا يجد أحدًا يلوذ به من ظلم

[1]- الحصرى: زهر الآداب وثمر الألباب، ت: صلاح الهوارى، ط/ بيروت، سنة ٢٠٠٩، ج٢، ص ٤٢.
[2] - أبو العتاهية: الديوان، ت: كرم البستانى، ط/ دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت، سنة ١٩٨٦، ص ٤٧٠.
[3] - السابق، ص ٤٠٩.

الرشيد سوى الله سبحانه، فيحيل قضيته بأسرها إلى الله، ويناجى ربه فى أبيات هى خير ما قيل فى الظلم، يقول:

أمَـا واللهِ إنَّ الظلـمَ لُـومُ ولكـنّ المسـئَ هـو الظَّلُـومُ
إلى ديَّان يومَ الدِّينِ نمضى وعنـدَ اللهِ تجتمـعُ الخصـومُ
ستعلمُ فى الحِسابِ إذا التقيْنا غـدًا عنـدَ الإلـهِ مَـنْ المَلُـومِ([1])

يئس من الرشيد يأسًا تامًا، فلم يجد ملاذًا سوى الله، فى أبيات تدل على تبرم شديد من الظلم، وقد خرجت من القلب إلى أبواب ديان يوم الدين، مما جعلها أنشودة كل مظلوم، يشتكى فيها إلى ربه، وقد يرتدع بها كل ظالم، حتى إن الرشيد لما سمعها أطلق سراحه، وقد جاءت شكواه إلى الله ممزوجة بالحسرة، مما أضفى على الأبيات قدرًا من الحزن، تدعو للتعاطف معه ضد ظلم الخليفة الرشيد، وكذلك تصور نفسه المنكسرة التي عزاها الصبر وحده، وتوضح حالة اليأس الذي ألم بها.

أما إبراهيم بن الخليفة المهدى-ت ٢٢٤هـ- فقد بايعه أهل بغداد بعد مقتل محمد الأمين، ولما ظهر قواد المأمون، استخفى، ولم يزل كذلك مدة طويلة، حتى قُبض عليه، وحبسه المأمون ستة أشهر، وأهدر دمه، ثم عفا عنه، وكان مغنيًا وشاعرًا([2])، ومن محبسه أنشد أبياتا تدل على تسليمه التام لقضاء الله، وإن اختلف المترجمون فى نسبة هذه الأبيات لأكثر من شخص، يقول:

هـى المقـاديرُ تجـرى فـى أعنَّتِهـا فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ
مـا بـينَ طرفـةِ عـينٍ وانْتباهَتِهـا يغيِّـرُ اللهُ مـن حـالٍ إلـى حـالِ([3])

بيتان من أجمل ما قيل فى الحكمة، والتسليم التام لقضاء الله وقدره، حتى جرت مجرى الأمثال، فكل الأمور بيد الله سبحانه، يجريها كيف يشاء، وحال المرء لا يدوم، ففى طرفة عين تنقلب الأمور، ويغير الله ويبدل كيف يشاء، فالصبر على مرارة السجن والرضا به، هما عين الحق.

[1] - أبو العتاهية: الديوان، ص ٣٩٨.
[2] - الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط٢/ دار المعارف، سنة ١٩٦٧، ج٨، ص ٥٧١.
[3] - د. محمد مصطفى أبوشوارب: شعر إبراهيم بن المهدى وأخباره ونثره، ط١/ الإسكندرية- مصر، سنة ٢٠٠٨، ص ٣٢٣.

المبحث الثاني: استحضار الأنا

بعد أن يستحضر الشاعر فى سجنه عظمة خالقه، وقدرته على تفريج همِّه، ويشكو حزنه وبثَّه إليه، ويفرغ كل أحزانه، وتبدأ الطمأنينة تسرى إلى قلبه، يهدأْ، وبمرور الوقت، وشعوره بالفراغ الشديد، يبدأ فى استحضار أناه، ويعبر عن خلجات نفسه التى تعكس واقعه المرير، وقساوة التجربة التى يعيشها، فيجد الشاعر فى استحضار أناه، والحديث إليها وعنها تسلية وتعزية لما أصابه، إذ يبث إليها همومه وأحزانه، وغالبا ما يذكر أنه سُجِن ظلما، ودونما سبب يعرف يستحق عليه العقاب، ونجد حديثه عن أناه يتراوح بين حثِّها على الصبر، وضرورة تحمل الظلم والآلام الناجمة عن حبسه، وتصويرها بأنها راضية بقضاء الله، صابرة على ابتلائه ومحنه، وأن الحبس هذا لا يضيرها فى شيء، فنراه قد يفخر بنفسه، ويصورها أنها عالية سامقة فى السماء لا تقهر، والسجن إنما هو لحظات عابرة وستمر، وكثيرًا ما يرسم لنفسه دور البطولة والشموخ والصبر على الذل والهوان، ورويدًا رويدًا، ومع طول الوقت، يبدأ الانهيار النفسى، ويظهر جانب الضعف وعدم التحمل، وهذا يدفعه إلى الاستعطاف والرجاء والتودد، وعلى الجانب الآخر يخلق لنفسه عالما آخر غير الذى يحياه.

ومعروف أن الخليفة الرشيد قد حبس أبا العتاهية، الذى غيَّر عادة الشعراء الذين سُجِنوا فى عصره، فى حث أنفسهم على الصبر وإظهار البطولة، وعدم الاكتراث بما حلَّ بهم، أما هو فمنذ أن وطئت قدماه أرض السجن، راح ينحب ويبكى، ويظهر من الخنوع والخضوع الكثير، وربما أراد بذلك استدرار عطف الخليفة وترقيق قلبه، فراح يرثى نفسه وهو فى حبس الرشيد – كما ورد فى عنوان القصيدة فى الديوان- قائلا:

أيَا وَيحَ قلبى من نَجىِّ البلابلِ ... ويا ويحَ ساقِى من قروحِ السَّلاسلِ
ويَا ويحَ نفسى ويحَها ثمّ ويحَها ... ألمْ ننجُ يومًا من شباكِ الحبائلِ
ويا ويحَ عينى قد أضرَّ بها البكا ... فلمْ يغنِ عنها طبُّ ما فى المكاحلِ(١)

صراخٌ كصراخ النساء، وجزعٌ كجزع بعضهن عند تلقى المصيبة، وقلبٌ ينفطر من شدة الهموم التى تراكمت عليه، فساقه قد تقرَّحت من السلاسل،

[1] - أبو العتاهية: الديوان، ص ٣٨٤.

ونفسه تكالبت عليها المصائب، وعينه أضرَّها كثرة البكاء، حتى لا ينفع فيها الطبُّ، فهو يعزى نفسه التى تشبه الأموات، والأبيات تصور نفسًا جزعة ملتاعة، لا تقوى على الصبر، ويتضح ذلك من تكرار كلمة " ويح" ست مرات، ليصور الضرر الذى أصابه من جراء هذا السجن، كما جاءت الكلمات: "البلابل- قروح – حبائل- أضر – البكا – رهينة"، تعكس حالة البؤس والشقاء التى وصل إليها أبوالعتاهية، ولو أظهر أى لون من ألوان الصبر والبطولة، لكان خيرا له من هذا العويل والصراخ.

أما أبوفراس الحمدانى فقد أكثر من الأبيات والمقطوعات، بل والقصائد التى يتحدث فيها عن نفسه، فخرًا وقوةً وصمودًا وصبرًا وشجاعةً، لكن أكثر المقاطع تأثيرًا فى النفس، تلك التى قالها حينما سمع حمامة تقف على فرع شجرة تنوح بقربه، فقال مخاطبًا إياها، ومتذكرًا أمه العجوز التى ينفطر قلبه عليها، يقول:

أقولُ وقد ناحتْ بقربى حمامةٌ   أيَا جَارتا هلْ باتَ حالُك حالِى
أيا جَارتا ما أنصفَ الدهرُ بينَنَا   تعالىْ أُقاسِمكِ الهمومَ تعالِى
أيضحكُ مأْسُورٌ، وتبكى طليقةٌ   ويسكُتُ محزونٌ ويندُبُ سالِ[1]

كل كلمة هنا تذرف دمعًا، وتخرج آهةً وحسرةً لما آل إليه حاله، وهو البطل الشجاع، وقد هيجت الحمامة النائحة أشجانه وأحزانه، فراح يبث إليها لواعجه، ويقاسمها همومه وأتراحه، ويتعجب من أمرها، فكيف وهى الحرة الطليقة تبكى، وهو الأسير السجين يضحك؟! وتحمل هذه الأبيات فى طياتها فخرًا عودنا عليه أبوفراس فى رومياته، ويلفت نظرنا إلى قيمة الحرية للسجين التى لا تعادلها قيمة أخرى، وقد أفلح الشاعر فى الإكثار من أصوات المد واللين لتتناغم مع الحالة النفسية التى تشيع عبر القصيدة، فأصوات المدِّ ساعدت الشاعر على تفريغ مكبوتاته، وشحنه النفسية، فهو فى حاجة إلى صراخٍ وبكاءٍ وعويلٍ، وكل ذلك بحاجة إلى نغمةٍ ممدودةٍ نجدها فى أصوات المد.

وقد دأب كثيرٌ من الشعراء على تحويل أزمتهم إلى مسار الفخر، وإقناع أنفسهم وغيرهم بأن الحبس طالما لم يُرتكب بسبب جريمة من الجرائم، فلا يكون إلا للشجعان الأبطال، فيكثرون من التشبيهات والصور البيانية، محاولة منهم فى

[1]- أبو فراس: الديوان، ص ٢٨٢.

شدة الإقناع والتأييد لرأيهم، وقد اشتهر الشاعر إبراهيم بن المدبر بالفخر فى معظم حبسياته، وبالإسراف فى الصور البيانية، فهو غالبا ما يصور نفسه بطلا صنديدا، ومن ذلك قوله:

هو الحبسُ ما فيه علىَّ غَضَاضةً   وهلْ كان فى حبس الخليفةِ من عارِ
وما أنا إلا كالجوادِ يصونُهُ   مقوِّمُهُ للسبقِ فى طىِّ مضمارِ
أو الدرِّةِ الزهراءِ فى قعرِ لُجَّةٍ   فلا تُجْتَلى إلا بهولٍ وأخطارِ([1])

يعبر الشاعر تعبيرًا جميلا، يدل على ذكاءٍ شديدٍ، وقوةٍ فى الإقناع، فليس فى السجن أى غضاضة، وكيف يكون ذلك، وهو بأمر الخليفة نفسه؟! ثم يسوق الحجج والبراهين التى يحاول بها أن يدلل على ذلك، مصورًا نفسه بالجواد الجامح الذى حبسه صاحبه، صيانةً له وحفاظًا عليه؛ ليطلق عنانه يوم السبق، وكأن الخليفة ضنَّ به عن الناس فحبسه، ثم يشبه نفسه بالدرة غالية الثمن، وقد حُبست فى صَدَفةٍ فى قعر بحر مظلم، لا يجتليها الغواصون إلا بعد لأىٍ شديدٍ، ومواجهة أخطار ليست سهلة، فهو فى محبسه هذا يشبه تلك الدرة.

وكما صوَّر إبراهيم بن المدبر نفسه بالدرة المصونة داخل صَدَفةٍ، صورها أيضا بالسيف، يقول:

لاتؤْيسنَّكَ من كريمٍ نبوةٌ   فالسيفُ ينبو وهو عضبٌ باترُ([2])

شبه الشاعر نفسه وهو مسجون بالسيف الباتر القاطع الذى يخفق مرة، وإن كان الشاعر لم يوفق جيدًا فى تشبيهه، فالمقارنة بين دخول الشاعر السجن، والسيف الذى يخفق، تبدو بعيدة وغير مستساغة، لكن الصورة التى يريد الشاعر توصيلها: "أن لكل جواد كبوة"، وقد جعل الشاعر السجن هنا منقصة، دون أن يشعر أنها عكس الصورة السابقة التى يرى فيها أن السجن لا غضاضة فيه، وقريبًا من المعنى السابق نجد المتنبى يقول فى سجنه:

كنْ أيَّها السِّجنُ كيفَ شئتَ فقدْ   وطَّنتُ للموتِ نفسُ معترفِ

[1]- يونس الشيخ إبراهيم السامرائى: تاريخ شعراء سامراء من تأسيسها حتى اليوم، ص ٢٥.
[2]- السابق، ص ٢٤.

لــوْ كــانَ سُــكنَاى فيـكَ منقصـــةٌ   لمْ يكنِ الدرُّ ساكنُ الصَّدَفِ([1])

يبدو أن أبا الطيب قد سُجن فى بداية حياته عندما اتهموه بأنه ادَّعى النبوة، ولكن أبا الطيب وأمثاله كلما تعرضوا لمحن كان ذلك من حظ الأدب، وهو هنا يظهر بمظهر القوى الذى لا ينحنى لريحٍ مهما كانت عاتية، فلتكن مرارة السجن مهما كانت، فقد وطَّن نفسه على أشد من ذلك، ولو كان الموت نفسه، ثم يسوق الدليل المقنع، فالدرُّ القيِّمُ يسكن الصدف الردئ الذى لا قيمة له، وقد شبه نفسه بالدر، وهى أنا المتنبى الشامخة التى عودنا عليها.

ولعل على بن الجهم كان أكثر الشعراء قوةً وصبرًا، وأخفهم جزعًا مما مرَّ به من أهوال فى سجنه، فنراه دائمًا يصور نفسه بأنها صلبة لا تأبه بشئ، ولا تتخاذل فى المصائب، ولا تهزها نوائب الدهر، يقول:

هـىَ الـنفسُ مـا حمَّلتهـا تَتحــمَّلُ   ولـلـدهرِ أيـامٌ تجـورُ وتعـــدلُ

ولا عـارَ إن زالـتْ عن الحرِّ نعمـةٌ   ولكنَّ عارًا أن يزولَ التجمُّلُ([2])

فنفسه قوية تتحمل تقلبات الدهر، فأين العار على رجلٍ حرٍّ زالت عنه النعمة؟! فكل امرئ عرضة لذلك، لكن العار الحقيقى على من لا يقوى على الصبر، ويجزع لنوبات الدهر، ولا يتجمل، وواضح أثر الحكمة الممزوجة بالفخر على أبيات الشاعر، التى ترسم حالة الأنا عنده، والتى تسير فى خط بيانى مستقيم، فنبرة الفخر تطل علينا فى كل أبياته فى الحبس، ومنذ أن دخل ابن الجهم الحبس وقد "دخل متعاليا على النكبة، مستخفًّا بالنازلة، معتدا بالذات، حريصا أشد الحرص على ألا يشمت أعداؤه به، وألا يقرّ عيون حساده بضعفه، فلم ينظر إلى الحادثة إلا كما ينظر الطود الشامخ إلى الأمواج العاتية التى تصدم سفحه، فهو لا يرى فيها إلا دفقات من الماء جاءت لتغسل قدميه، ثم ترتد عنها خاسئة ذليلة"([3]).

---

[1]- أبوالطيب المتنبى: الديوان، ت: عبدالرحمن البرقوقى، ط٢/ دار الفكر – بيروت، سنة ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ٦٣٥.

[2]- على بن الجهم: الديوان، ص ١٦٢.

[3] - عبدالرحمن رأفت الباشا: على بن الجهم "حياته وشعره"، ط/ مطبعة شركة التمدن الصناعية- القاهرة، سنة ١٩٦٥، ص ١٨٣.

وكانت تهمة الزندقة فى العصر العباسى من التُّهم المعروفة، ويدخل فى إطارها الفُسَّاقُ والمُجَّانُ، ثم اتسع المصطلح بعد ذلك ليدخل فيه كل من يعارض الخلفاء العباسيين أو يغضبهم لأي سبب كان، ثم بات المصطلح تهمة سياسية يتبادلها كل المختلفين والمتنافسين علي رضا الخليفة، وقد اتهم بها كثير من الأدباء والشعراء، وكان منهم الشاعر الفارسى الأصل، صالح ابن عبدالقدوس- ت١٦٧هـ- الذى اتهمه الخليفة المهدى بالزندقة، وقتله بها، ويروى أنه قال للمهدى عندما عزم على قتله: والله يا أمير المؤمنين ما أشركت بالله طرفة عين، فاتق الله ولا تسفك دمى على الشبهة، لكن المهدى قتله وصلبه على جسر بغداد([1])، ويبدو أنه طال كثيرًا فى محبسه قبل أن يقتل ويصلب، فنراه يقول:

خرجْنا من الدّنيا ونحنُ من أهْلِها   فما نحنُ بالأمواتِ فيها ولا الأحْيا
إذا دخل السجَّانُ يومًا لحاجةٍ   عَجبنا وقلنا جاءَ هذا من الدُّنيا([2])

وصفٌ دقيقٌ ومخيفٌ للحالة السيئة المشينة التى وصل إليها الشاعر فى محبسه، والتى يصح معها قول القائل: إن شعر السجون "أكثر مرجعية، أى أكثر مطابقة للتجربة الإنسانية من لغة سائر الأنواع الأدبية"([3]) فالشاعر فى سجنه محسوب على أهل الدنيا، لكنه لا يحيا حياة أهلها، وكأنه من أهل الآخرة، وقد أجاد التعبير فى البيت الثانى فى وصفه لدخول السَّجَّان عليهم، وتعجبهم منه، وكأنهم مقبورون، وقد أتى ذلك لهم من الدنيا فجأة، وهذا يعكس ما كانت عليه أحوال السجون والسجناء فى العصر العباسى، من ظلمٍ وتضييقٍ ومنعٍ، وكأن السجناء أموات، إذا خرجوا بُعِثوا من جديد، على الرغم من أن السجن "يرتكز دوره المفترض أو المطلوب، كجهاز لتغيير الأفراد"([4]) لا تعذيبهم وقهرهم.

---

[1] - شمس الدين بن خلكان: وفيات الأعيان، ت: د.إحسان عباس، ط/ دار الثقافة – بيروت، سنة ١٩٨٣، ج٢، ص ٤٨٣.

[2] - عبدالله الخطيب: صالح بن عبد القدوس البصرى "عصره، حياته، شعره"، ط/ بغداد، سنة ١٩٨٦، ص ١٦٣.

[3] - سامح إدريس: المثقف العربى والسلطة، ط/ دار الآداب، بيروت- لبنان، سنة ١٩٩٢م، ص ١٩.

[4] - ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ت: على مقلد، ط/ بيروت-لبنان، سنة ١٩٩٠م، ص ٢٣٦.

وقد يطول عهد الشاعر بالسجن كأبى نواس الذى بدأ يتبرَّم من الوضع؛ لاعتياده حياة الحرية والعبث واللهو التى كان يمارسها، لذا ضاق عليه سجنه ضيقًا شديدًا، فراح يشكو على غير عادته، ويبوح بمكنونات نفسه المتبرمة، وينشد هاجيًا الفضل بن الربيع، كما ورد فى عنوان القصيدة التى يقول فيها:

فلَــوْ أنّ خِــدْنىَّ القــريبينِ أبْصَــرا   خضــوعىَ للســجَّان مــا عَرَفــانى

ولــوْ أبصــرانى والقيــودُ تلفَّنــى   ومشــيى إلــى البــوابِ بالنَّجَشــانِ([1])

فلو نظر إليه أصدقاؤه القريبون ما عرفوه من ذلِّه وخضوعه التام للسجان، ومن تغير حاله، وما اعتراه من تحولِ جسمانى، لا يستطيع أن يفعل معه شيئًا، وقد لفَّت القيود رجليه، وجعلت فى مشيته اضطرابًا، وعدم قوة على الحركة، وتبدو لغة الخضوع والانكسار واضحة فى قول إبى نواس.

أما الحلاج- ت ٣٠٩هـ- فقد زجَّ بنفسه فى التيارات السياسية المضطربة فى عصره، واتصل بالسياسة ورجالها، فأصابه ما أصابه، ولولا ذلك ما حدث له ما حدث من تعذيب وصلب وقتل، وما كانت الاتهامات الدينية له إلا اتهامات رسمية؛ لتكون سندًا يستند إليه السلطان([2])، وقد حبسه الخليفة المقتدر بالله العباسى فى سجن المطبق، فى قصته المعروفة، حتى أمر بعد ذلك بإعدامه، وحرق جثته، بإيعاز من (حامد) وزيره المضلل، ويبدو أنها "كانت محاكمة سياسية، وكان قتلا سياسيًا، لبس زورًا ثوب الدين، وتقنع كذبًا بقداسته وحمايته"([3])، وفى السجن راح الحلاج ينظم قصائده، مستشعرًا الندم على ما حدث، ومن ذلك قوله فى السجن:

نزلــتُ بمنــزلِ الأعــداءِ منِّــى   وبنــتُ فــلا تــزور ولا تُــزارُ

كمــا ذهــبَ الحمــارُ بــأمِ عمــروٍ   فــلا رجعــتْ ولا رجــع الحمــارُ([4])

[1]- أبو نواس: الديوان، ص ٦٥٦.
[2]- طه عبدالباقى سرور: الحسين بن منصور الحلاج، شهيد التصوف الإسلامى، ط/ القاهرة، سنة١٩٦١، ص ١٢٧.
[3]- السابق، ص ١٢٧.
[4] - الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، ط/ دار الكتب العلمية-بيروت(د.ت)، ج٨، ص ١١٧.

إنه أهلك نفسه من جرَّاء ما فعل، وما زجَّ نفسه فيه، حتى صار-كما فى المثل-كأم عمرو التى هلكت وأهلكت حمارها دونما فائدة، ولما أراد أن يطلب الهدوء والاستقرار، واجتناب الناس كان قد سجن وأمر بقتله.

يقول:

طلبتُ المستقرَّ بكل أرضٍ فلمْ أرَ بأرضٍ مستقرَّا

أطعتُ مطامعى فاستعبدتنى ولو أنى قنعتُ لكنتُ حرًّا([1])

إن الحلاج يعترف فى محبسه أنه اتبع مطامعه فأهلكته، وأما مطامعه فما كانت إلا محاولة جاب بها الآفاق لنشر تعاليم الدين الروحية، ودعوة الناس إلى الزهد والتصوف، وترك مباهج الحياة، فلما قدم إلى بغداد اصطدم بدعوته مع الخليفة ورجاله، فآل به الحال إلى السجن ثم إلى الإعدام ثم إلى الحرق، وقد صورت هذه الأبيات انكسار نفس الحلاج، وإظهاره الندم على ما فعل.

ونعرِّج على إبراهيم الموصلى المغنى-ت ١٨٨هـ- الذى نهاه الخليفة المهدى عن شرب الخمر فلم ينته، وشرب النبيذ مع ولديّ الخليفة، فأمر المهدى بحبسه، وقد جاء فى الأغانى على لسان إبراهيم الموصلى" ..ثم دعانى يوما وعاتبنى على شربى فى منازل الناس والتبذل معهم، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما تعلمت هذه الصناعة للذتى وعشرتى إخوانى، ولو أمكننى تركها لتركتها، فغضب غضبا شديدا...، وقال: لا تدخل على موسى وهارون-ولداه- البتة، فوالله لئن دخلت عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ، فقلت: نعم، ثم بلغه أنى دخلت عليهما وشربت معهما، وكانا مستهترين بالنبيذ، فضربنى ثلثمائة سوط، وقيدنى وحبسنى"([2])، فراح فى محبسه يشكو فى قصيدة، منها قوله:

تطاولَ ليلى أراعى النجومَ أعالجُ فى السَّاق كبلا ثقيلا([3])

يتضح من البيت المعاناة التى تعانيها أنا الشاعر، والضغط النفسى الذى يشعر به، وقد طال ليله، وزاد همُّه وألمه من شدة معالجة القيود الثقيلة فى قدميه، وقد ذاق مرارة الذل والخضوع فى السجن، الذى هو شر المنازل.

[1] - الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، ص ١١٨.

[2] - أبو الفرج الأصفهانى: الأغانى، ج٥، ص ١٦٠.

[3] - السابق، ص ١٦٢.

ونكب الخليفةُ المتوكل وزيره محمد بن عبدالملك الزيات([1]) بعد أن استوزره، فحبسه وعذَّبه وقتله، وكان المتوكل يبغضه، وقد حبسه لأسباب كثيرة -لا يعنينا عرضها كلها- منها: أن أخاه الواثق غضب عليه، وكان ابن الزيات يزيده غضبًا عليه، فبقى ذلك فى نفسه.....ثم تولى المتوكل الخلافة فأمر بالقبض عليه، ومصادرة أمواله بعد أن أغراه به ابن أبى دؤاد –منافس ابن الزيات- ووضعه فى تنور من خشب فيه مسامير فى أسفله....([2])، ومن سجنه يراح يصف معاناته فى قصيدة طويلة، منها قوله:

لَعِــبَ البِلـــى بمعــالمِى ورسومـــِى   ودُفنــتُ حيًّــا تحــتَ ردمِ غمــومى

لــزم الــبِلا جسـمى وأوهــنَ قــوَّتِى   إن البِلـــى لموكَّـــلٌ بلــــــزومِ([3])

يتحدث الشاعر عن نفس ذاقت الويلات، وعن جسد أصابه البلاء، فتغيرت ملامحه ورسومه، ووهنت قوته، وضعفت ضعفًا شديدًا، وقد أفلح الشاعر فى تصوير نفسه، وقد كثرت عليها الهموم والغموم، حتى دفنته تحتها، وكأنها ثرى، وتكرار كلمة "البلى" ثلاث مرات فى بيتين، تدل على شدة معاناة الشاعر فى محبسه.

وكان ابن المعتز-ت ٢٩٦هـ- من الخلفاء العباسيين، وقد قضى فى الخلافة يومًا وليلة، فبعض رؤساء الجند وزعماء الكُتَّاب الميالين إلى ابن المعتز نقموا على المقتدربالله العباسى فخلعوه، وبايعوا عبدالله بن المعتز، فأقام يوما وليلة فى الخلافة، ثم إن حاشية المقتدر المخلوع تحزبوا له وحاربوا أعوان ابن المعتز، وأعادوا المقتدر إلى الخلافة، الذى أخذ ابن المعتز وسلمه إلى مؤنس الخادم، فحبسه، ثم قتله، وسلمه إلى أهله([4])، ومن سجنه قال عبد الله ابن المعتز:

---

[1] - هو: أبو جعفر محمد بن عبدالملك بن أبان بن أبى حمزة البغدادى، ت ٢٣٢هـ، انظر مقدمة الديوان، شرح وتحقيق: د. جميل سعيد، ط/ مطبوعات المجمع الثقافى-أبوظبى، سنة ١٩٩٠م.

[2] - محمد بن عبدالملك الزيات: مقدمة الديوان، ص ١٤-١٥.

[3]- السابق، ص ٢٥٢.

[4] - عبد الله بن المعتز: الديوان، شرح: محيى الدين الخياط، ط/ مطبعة الإقبال- بيروت، (د.ت)، المقدمة، ص ٤.

تعلَّمتُ فى السِّجنِ نسْجَ التِّكك وكنتُ امرءًا قبل حبْسى مَلِكْ
وقُيِّدتُ بعدَ ركوبِ الجيادِ وما ذاك إلا بدور الفلكْ
ألمْ تُبْصرِ الطيرَ فى جوِّه يكادُ يلامسُ ذاك الحَبَكْ
إذا أبصرتهُ خطوبُ الزمانِ أوْقعتهُ فى حبالِ الشَّرَكْ[1]

إنه يصف حاله فى السجن، وما وصلت إليه أناه المقهورة، فبعد أن كان ملكًا من الملوك العباسيين، صار الآن سجينًا ينسج تكك السراويل-على حد قوله- ومن بعد أن كان يمتطى الخيول صار مقيد الرجلين، محكوم الحركة، وقد دارت عليه الدوائر، فأنزلته هذا المنزل -ثم يسوق الشاعر حجج الإقناع، التى عودنا عليها الشعراء السجناء- فها هى الطير تطير مرتفعة لقرب السماء، حتى إذا أرادها الدهر بنكبة، أوقعها فى حبال الشرك، فتصير مأسورة محبوسة مثله، وهى صورة جميلة شبه الشاعر فيها نفسه بالطير الحر الطليق الذى يستمتع بملذات الحياة، ثم أوقعه الدهر فى الشرك، فحرم من كل ذلك، وصار سجينًا، ويبدو أن ابن المعتز قد صيره السجن حكيمًا، فنراه يقول مصبرًا نفسه الجزعة المضطربة مما حلَّ بها:

يا نفسُ صبرًا لعلَّ الخيرَ عقباك خانَتْكِ من بعد طولِ الأمنِ دنياك
لكنَ هو الدهرُ لقياهُ على حَذَرٍ فربّ حارس نفسى تحت إشراكِ[2]

فهو يتحدث إليها؛ ليصبرها، لعل الخير يكمن فى الشر، ويخبرها بأن الدهر متقلب، لا يأمنه أحدٌ، ويجب أن نكون منه على حذر شديد.

ولا يقابل الباحث أحدًا ذاق مرارة الأسى والحزن، مما وقع عليه من الظلم والسجن مثل عبدالله بن المعتزهذا، فقد عاش ومات كئيبًا، ونجده كثيرًا ما يتذكر ما آل إليه من حبس، ويتذكر ما حاق به من ظلم، وهو في ظلمات السجن، وقد كتب فى محبسه يخاطب نفسه، ويندب حظه والأيام، فيقول:

مَنْ يَذودَ الهمومَ عن مكروبٍ مستَكِينٍ لحادثاتِ الخطوبِ
حوَّلته الدنَيا إلى طولِ حزنٍ من سرورٍ وطيبِ عيشٍ خصيبِ

[1]- عبد الله بن المعتز: الديوان، ، ص ٣٣١.
[2]- السابق، ص ٣٣٩.

فهــو فــي جفــوةِ المقــادير لا يأخـذُ يومــاً مــن دولــةٍ بنصــــيبِ([1])

فالشاعر مهموم مغموم، مستكين لحوادث الدهر، من بعد الفرح والسرور، وهو لم يأخذ حقه من الخلافة، سوى يوم واحد، وواضح من الأبيات أن الألم يعتصر قلب الشاعر، وقد صور نفسًا منكسرة ذليلة، تكالبت عليها الخطوب والهموم، مع شدة ظلام السجن، وقبح ظلم الخليفة، والأبيات مزج فيها الشاعر بين الشكوى، وتصوير حالته النفسية السيئة، حتى كأنها تقطر ألمًا.

ومن الشعراء الذين نلتقى بهم فى دراستنا، الشاعر أبوالحسن التهامى([2])، الذى رحل إلى أرض مصر؛ ليشترك مع آل الجراح فى ثورتهم ضد الفاطميين، ويحرض عليهم قبائلها، فقُبض عليه وسُجن فى خزانة البنود بالقاهرة، ثم قتل فى جمادى الأولى عام ٤١٦هـ(٣)، وفى خزانة البنود ذاق الويلات: ويلات السجن، وويلات الغربة، وويلات التعذيب، وويلات الشعور بالندم، فجاءت أبياته قوية العاطفة، صادقة المعنى، معبرة عن حالته التى وصل إليها خير تعبير، ومن ذلك قوله:

لنفسـكَ لُـمْ، لا عُـذْرَ قـد نفـذَ العـذرُ بـذا حكـمَ المقـدورُ إذ قُضـى الأمـرُ

لعمـرى قـد طوَّفـتُ فـى طلـبِ العُـلا وحــالفنى بَــرٌّ وحــالفنى بـــحرُ

ظللـتُ بمصـر فـى السـجون مُخلَّـدا وإنِّـى لسيفٌ جفنـه فوقـه سـترُ([4])

شعور بالندم، واعتراف صريح من الشاعر بخطئه الذى ارتكبه فى حق نفسه، وإن كان القدر قد جرى بذلك، لكنه أيضا يلومها إيلامًا شديدًا، فهى نفس طامحة إلى العلى دفعته لأن يجوب الآفاق، برًا وبحرًا، حتى إذا وصل أرض مصر قبع فى سجونها حتى موته، ويشبه الشاعر نفسه بالسيف كعادة الشعراء المسجونين، ويتضح فى الأبيات أن أنا الشاعر تفيض حسرة وألمًا، وتروى عبر القصيدة قصة عذابها الممزوج بالألم النفسى الشديد، وقد برع الشاعر فى

[1] - عبد الله بن المعتز: الديوان، ص٢٥٧.

[2] - هو: أبوالحسن على بن محمد التهامى، شاعر من شعراء القرن الرابع الهجرى، ت ٤١٦هـ، انظر مقدمة الديوان، ت: د. محمد عبدالرحمن الربيع، ط١/ مكتبة المعارف- الرياض، سنة ١٩٨٢.

[3] - السابق، ص ١١-١٢.

[4] - أبو الحسن التهامى: الديوان، ص ٢٦٠.

تصوير مأساته، تعزية لنفسه وتسلية لها، ومن ذلك يصف هول المعاناة التى يعانيها، قوله:

مســـتوطناً دارَ البنـــودِ وقلبُـــهُ للرُّعـبِ يخفـقُ مثـلَ خفـقِ بُنُودِهَـا
دارٌ تَحــطُّ بهــا المَنــونُ شــبَاكَها فتــروحُ والمِنْجـابُ حِـلَّ صُيُودِهـا
قيــدٌ وسلســلةٌ وأدهــمُ مصمــتٌ محنُ الكرامِ عظيمةٌ كصفُودِهــا([1])

لا تقرأ أبياتًا فى صدق هذه الأبيات، ولا فى دقة وصف المعاناة التى يعانيها الشاعر، وقد أدرك أن منيَّتة قادمة لا محالة، فقلبه يخفق خفقانًا شديدًا، والقيود والسلاسل تحيطه، مصيبة عظيمة، ومحنة شديدة لا تليق- على حد قوله- إلا بعظيم مثله، وهذا يؤكد ما يذهب إليه رائد أدب السجون عبدالرحمن منيف، أن قصيدة السجن" تورط القارئ فتدخله فى جوها، وتضيق عليه، وتجعله يحس بمدى الإهانة والعذاب اللذين يتعرض لهما السجين"([2])، وهذا ما تشعر به حقا.

وأما محمد بن صالح العلوى([3]) فقد خرج على الخليفة المتوكل، فظفر به وبجماعة من أهل بيته، فأخذهم وقيدهم، وقتل بعضهم، وحمل محمد بن صالح فيمن حمل منهم إلى مدينة سُرَّ من رأى، فحُبِس هناك ثلاث سنين، ثم أفرج عنه المتوكل بعد أن استعطفه بقصيدة يصف فيها حاله([4])، ومن سجنه راح يستحضر أناه فى أبيات كثيرة، منه قوله:

طَـرِبَ الفـؤادُ وعَـاوَدَتْ أحزانُــهُ وتشــعَّبت شُــعبًا بــه أحزانُــهُ
وَبَـدا لـهُ مـن بعدِ مـا انـدمَلَ الهَـوى بــرقٌ تــألَّقَ موهنًــا لمــعانُهُ
فـدنَا لينظُـرَ كيـف لاحَ فلـمْ يُطـقْ نظــرًا إليـــه وردَّه ســـجَّانُهُ([5])

[1] - أبو الحسن التهامى: الديوان، ص ٢٧٨.
[2] - عبدالرحمن منيف: الكاتب والمنفى، ط٣/ المركز الثقافى العربى-الأردن، سنة ٢٠٠١م، ص ٢٣٧.
[3] - هو: محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن على بن أبى طالب، ت ٢٥٢هـ ، أو ٢٥٥هـ ، انظر مقدمة الديوان، ت: مهدى عبدالحسين النجم، ط١/ مؤسسة مواهب للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، سنة ١٩٩٩م.
[4] - السابق، ص ٥.
[5] - السابق، ص ٢٣.

إن قلبه قد امتلأ حزنا وهمًّا وغمًّا، لكنه لم يقنط ولم ييأس أبدًا، وقد جدد أملا فى نفسه ما بدا له من لمعان صغير، نفذ إليه من طاقة فى السجن، أعاد إليه الحياة مرة أخرى، وقد حاول أن ينظر إلى الدنيا من تلك النافذة، لكن السَّجَّان ردَّه ثانية، وهو يريد أن يقول: إن الأمل باق مهما أدلهم الأمر، ومعظم السجناء يعانون دائما من ذلك الصراع الدائم بين اليأس والأمل، "فالأماكن المغلقة تخلق لدى الإنسان صراعًا داخليًا بين الرغبات وبين الواقع، وتوحى بالراحة والأمان، وفى الوقت نفسه لا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف، لا سيما إذا كان المكان المغلق هو السجن"([1]).

ونفس حديث النفس المؤلم هذا نسمعه من إبراهيم بن المهدي، وقد ذاق الويلات من جراء الخلافة، كما ذكرنا آنفا، يقول:

فللَّـــه نفسِـــي إنَّ فـــيَّ لعـــــبرةً وفـي الـدهر نقـضٌ للعرى بعد إبـرام

غـدوتُ علـى الـدنيا مليكـاً مسـلطاً ورحتُ وما أحوي بهـا قبس إبهـام([2])

فقد ولد ملكًا مسلطًا على الدنيا بأسرها، أما الآن فهو قابع فى سجنه لا حول له ولا قوة، ولا يملك من أمره، ولا من خلافته شيئا.

****

المبحث الثالث: تشكيل رؤى وفضاءات أخرى

تأتى المرحلة الثالثة التى تسير جنبًا إلى جنب مع المرحلة الثانية، التى استحضر فيها الشاعر أناه، وفى هذه المرحلة يبدأ الشاعر فى خلق رؤى وفضاءات أخرى، فلا شك أن صورة أمه وأولاده وزوجه وأحبابه، وكل شىء جميل محبب إليه حُرِم منه، تطلُّ عليه باستمرار وتكون مصدر همٍّ وغمٍّ له، سيما أسرته، أما أصدقاؤه فيكثر العتب عليهم؛ لأنهم تخلوا عنه، لكن تظل صورة الخليفة هى الأكثر إلحاحًا عليه، فهو الذى بيده –بعد الله- العفو والعقوبة، وهو الذى يملك أن يطلق سراحه فى أى وقت شاء، وهو الذى يمكن أن يرجعه لكل هؤلاء الذين تعشعش صورتهم فى قلبه؛ لذا يمكن أن نقول: إن مناشدة الخليفة واستعطافه تمثل الفضاء الأكبر الذى يخلقه الشاعر لنفسه، فربما بعض الكلمات

[1] - حفيظة أحمد: بنية الخطاب فى الرواية النسائية الفلسطينية، دراسة نقدية، ط/ فلسطين، سنة ٢٠٠٧م، ص ١٢١.

[2] - د.محمد مصطفى أبوشوارب: شعر إبراهيم بن المهدى وأخباره ونثره، ص ٣٣٢.

التى قد تصل إلي أُذُنِ الخليفة تكون سببًا فى حريته؛ لذا فهو لا يكف عن استعطافه وترقيق قلبه، وأحيانًا قد يعتب عليه إن كان بينه وبين الخليفة علاقة قوية.

وأبو دُلامة- ت ١٦٠هـ- واحد من هؤلاء الشعراء، وقد شرب فى بعض الحانات فسكر، وانصرف وهو يتمايل، فلقيه العسس، فأخذوه وخرقوا ثيابه وطيلسانه، وأُتى به أبو جعفر، وكان يُؤتى إليه بكل من أخذه العسس، فحبسه مع الدجاج فى بيت، فلما أفاق، جعل ينادى غلامه مرة وجاريته أخرى، فلا يجيبه أحد، وهو فى ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاء الديوك، فلما أكثر قال له السَّجَّان: ما شأنك؟ قال له: ويلك، مَن أنت؟ وأين أنا؟ قال: فى الحبس، وأنا فلان السَّجَّان، قال: ومن حبسنى؟ قال: أميرالمؤمنين، قال: ومن خرَّق طيلسانى؟ قال: الحرس([1]) وبعد مدة كتب من سجنه إلى الخليفة المنصور يستعطفه، يقول:

أميـرَ المـؤمنينَ فـدتكَ نفـسى ... عـلامَ حَبسْـتنى وخرقـتَ سـاجِى
أَمِـنْ صـهباءَ ريـحُ المسـكِ فيهـا ... تَرقـرقُ فـى الإنـاءِ لَـدَى المِـزاجِ
أُقَـادُ إلـى السـجونِ بغيـرِ جُـرمٍ ... كـأنّى بَعـضُ عمَّـالِ الخَـراجِ
ولـوْ مَعَهـم حُبسـتُ لكـان سـهلًا ... ولكنِّـى حُبسـتُ مـع الدَّجـاجِ
علـى أنَّـى وإن لا قيـتُ شـرًّا ... لخَيـركَ بعـدَ ذاكَ الشَّـرِ راجِـى([2])

فالشاعر يستنكر على أمير المؤمنين- فى نوع من الاستعطاف- حبسه، وتقطيع ثيابه، لأمر لا يستحق أن يُحبس عليه، فهو لم يرتكب جرمًا، إنما هى جرعة من خمر، ومن ثم فهو يرى أنه مظلوم، وهو أيضا ليس من عمال الخراج اللصوص، الذين يسرقون مال المسلمين، وعلى غير عادة شعر السجون نجد أن المقطوعة تحمل روح الدعابة والتفكّه، خاصة حينما يصف نفسه، وهو محبوس مع الدجاج، كما أن الشاعر ليس غاضبًا من الخليفة الذى حبسه؛ لأنه يدرك تمامًا أن الأمر لا يتعدى نوعًا من التأديب الخفيف أو الدعابة، ويؤكد ذلك ما جاء

[1] - أبو دلامة: الديوان، ت: د.إيميل بديع يعقوب، ط١/ دار الجيل- بيروت، سنة ١٩٩٤، ص١٢٨- ١٢٩.
[2]- السابق، ص ١٢٩-١٣٠.

فى البيت الأخير أنه لعفو الخليفة راجٍ، وأن الأبيات لا تكشف نوعًا من الصراع النفسى داخل أنا الشاعر كعادة الشعراء السجناء، ولا تحمل نوعًا من الشوق أو الآهات أو العذاب النفسى، كما تكشف الأبيات ما عليه حال عمال الخراج من كثرة تطاولهم على أموال المسلمين، وكثرة ترددهم على السجن للصوصيتهم.

ولمَّا حُبس أبونواس، كان يظن أن سجنه لن يطول، فقد كان نديمًا للخليفة الأمين، ومن المؤكد أنه سيخرجه من محبسه، لكن الأمين لم يفعل، فطال حبسه، مما كان له أثر سيىء على نفسه، فلم يجد مفرًّا من استعطاف الأمين، يقول:

بِــكَ أســتجيرُ مــن الــرَّدَى   وأعوذُ من سَطَواتِ بأْسك
وحيــاةِ رأســكَ لا أعــودُ   لمثلهــا وحيــاةِ رأســك
مــن ذا يكــونُ أبــا نُواسِــك   إنْ قتلتَ أَبَــا نُواسِــك([1])

إنه يستجير به، ويتعوذ من سطواته، وشدة بأسه، ويتعهد برأسه ألا يعود لما فعل، ويحاول أن يستدر عطفه محقرًا من نفسه، ومقللا من شأنها، وقد بدا الانكسار والذل واضحًا عليه، وكان قد أُتّهم بالزندقة، وعلى الرغم من أن أبا نواس أنكر قبل ذلك تلك التهمة، وعرَّض بشهود الزور، وأخبر عن نفسه، أنه فاسق ماجن، لكنه هنا يقر ويعترف أنه يستحق العقوبة، لعل اعترافه على نفسه يليِّن قلب الخليفة عليه، ويطلق سراحه.

ونعود لأبى العتاهية الذى يعد من أكثر الشعراء معاناةً وجزعًا فى سجنه، وأقلهم تصبرًا واحتمالا، حتى وصل إلى حالة نفسية سيئة فى السجن، وقد حبسه الخليفة الرشيد -كما ذكرنا- فشكاه إلى الله، لكن الرشيد لم يأبه به، فبدأ فى نسج أبيات سهلة رقيقة يستعطفه فيها، ويرجو عفوه والصفح عنه، لكن الرشيد أيضا لم يعره اهتمامًا، فأكثر أبو العتاهية من شكايته إلى الله، ومن استعطافه ومدحه، ومن ذلك قوله:

يــا رشـيدَ الأمـرِ! أرشـدنى إلـى   وجـهِ نُجحـى لا عُـدمتَ الرَشَـدَا
أعْـنِ الخـائِفَ وارْحـمْ صـوْتَهُ   رافِعًـا نحـوكَ يـدعوكَ يَــدا

[1] - أبو نواس: الديوان، ص ٤٧٢.

وا بلائى من دَعاوى آملٍ كُلما قلتُ تَدانَى بعُدا
كمْ أُمنَّى بغدٍ بعد غدٍ يَنفدُ العمرُ ولم ألقَ غدا(١)

مزج الشاعر فى أبياته بين المديح والاستعطاف ليلين عليه قلب الرشيد، وأبدى مظاهر الخضوع والإذلال والإعياء الشديد، وكل يوم يمنى نفسه بالحرية، إثر وعدٍ يتلقاه من الرشيد، الذى يبدو أنه يداعبه، فيُبقِى الحال على ما هو عليه، وعمر الشاعر يمر، وهو قابع فى السجن كما هو، وقد طال حبسه، وهو لا يكف عن البكاء والعويل والشكاية، واستعطاف الرشيد، فأرسل إليه ثانية، يقول:

أنا اليومَ لى والحمدُ للهِ أشهرٌ يروحُ علىَّ الهمُّ منكم ويبكرُ
فمن لى بالعينِ التى كنتُ مرَّةً إلىَّ بها فى سالفِ الدهرِ تنظرُ(٢)

فقد مر عليه عدة أشهر، يروح عليه الهمُّ ويغدو، ثم يُذكِّر الرشيد بالمودة والمحبة التى كان يجدها منه، ولما وصلت تلك الأبيات الرشيد، لم تحرك فيه ساكنًا أيضا، والظاهر أنه قال للسَّجَّان أن يقول لأبى العتاهية: "لا بأس عليك"، من باب مداعبة شاعره وتأديبه، ويتضح ذلك من قول أبى العتاهية، إذ يقول:

أرقتُ وطارَ عن عينى النعاسُ ونامَ السامرونَ ولم يؤاسُوا
أمينُ اللهِ إنَّ الحبسَ بأسُ وقدْ أرسلتَ: ليسَ عليكَ بأسُ(٣)

إنه يعاتب الخليفة الرشيد فى لطف ورقة، علَّه يفرج عنه، وهذا ما حدث، فقد أطلق سراحه فى نهاية الأمر، بعد أن كثرت شكايته إلى الله، واستدرار عطفه.

ومما يرويه أبو الفرج الأصفهانى أن الخليفة المهدى قد أوفد الشاعر نصيب الأصغر(٤) إلى اليمن فى شراء إبل، وكان من جلسائه، ويثق فيه ثقة كبيرة، وجعل معه مبلغًا كبيرًا من المال يفى لشراء الإبل، وأوصى به والى

١- أبو العتاهية: الديوان، ص ١٥٧.
٢ - السابق، ص ٢١٤.
٣- السابق، ص ٢٣٣.
٤- شاعرٌ مخضرمٌ شهد الدولة الأموية، والعصر العباسى الأول، وهو عبدٌ زنجىٌ حبشىٌ، انتقل إلى خدمة الخليفة المهدى، ت سنة ١٧٥هـ، وقيل بعد سنة١٩٠هـ، وسمى بذلك للتفرقة بينه وبين نصيب بن رباح، الشاعر الأموى.

اليمن، لكن نصيب خان الأمانة، وبعثر المال وأنفقه على متعه وملذاته دون أن يقضى حاجة الخليفة، فلما رأى والى اليمن ذلك منه، أرسل إلى الخليفة يعلمه بالأمر، فغضب الخليفة غضبًا شديدًا، وأمر بأن يوثقه فى الحديد، ويرسله إليه موثَّقًا، وفى بغداد سجنه الخليفة مدة دون أن يأذن له بمقابلته([1])، فلما طال سجنه، قال يستعطف الخليفة، ويمدحه فى قصيدة تصل إلى العشرين بيتًا، وفيها يظهر الشاعر توبته وندمه، يقول منها:

تــأوّبنى ثقــلٌ مــن الهــمِّ موجِـــعُ ... فــأرقَّ عينـــى والخليُّـــون هجَّـــعُ
إليـكَ أميـر المـؤمنينَ ولـــمْ أجـدْ ... ســواكَ مجيـرًا منــكَ يُـدنى ويمنـــعُ
تلمَّستُ هل من شافعٍ لـى فلم أجدْ ... ســوى رحمـــةٍ أعطَاكَهـا اللهُ تشفــعُ
وعفـوكَ عمَّـنْ لـو تكـونُ جـريمةٌ ... لطارتْ بـه فـى الجوِّ نكباءُ زعْزَعُ([2])

اعترافٌ صريحٌ من الشاعر، بأنه أخطأ وارتكب جرمًا، وهذا ذكاءٌ منه؛ لذا فهو يحاول مداعبة عواطف الخليفة الدينية بعد هذا الاعتراف، ويكثر من الشكاية من ثقل الحديد والقيود فى رجليه، وقد منعته القيود النوم، ثم يبدأ فى استعطافه، وأنه لا منقذ ولا مجير لما فيه سواه، وقد تلمَّس كل دروب الشفاعة، فلم يجد سوى تلك الرحمة التى بثها الله فى قلب خليفته، وعفوه الذى يمن به على المذنبين، حتى أتت القصيدة بثمارها، إذ عفا عنه الخليفة بعد مدة من سجنه.

أما على بن الجهم شاعر المتوكل، فقد كان فى بداية سجنه قويًا جلدًا صبورًا على مرارة السجن، وهذا ما جعله يعتب على الخليفة المتوكل، ويلقى عليه اللوم، بأسلوب فيه بعض القوة والخشونة، ولا يستعطفعه كغيره من الشعراء المسجونين، وقد دفعه كبرياؤه فى بداية سجنه إلى الإكثار من مجادلة الخليفة، فهو يبحث عن حريته التى فقدها ظلمًا، والحق معه، فعلاقة أى شاعر بالحاكم علاقة جدلية ومتواصلة، طالما وجد الشاعر نفسه داخل مجتمع يبحث فيه بشكل دائم عن حريته وإنسانيته([3])، يقول:

[1] - أبوالفرج الأصفهانى: الأغانى، ج ١٢، ص ٦.
[2] - السابق، ص ٦-٧.
[3] - صالح عبدالعظيم: سوسيولوجيا الرواية السياسية، ط١/ الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، سنة ١٩٩٨م، ص ٣٠.

أَمِن السَّويَّةِ يا ابن عمٍّ محمَّدٍ خصـمٌ تقرِّبـه وآخـرُ تبعـدُ
إنَّ الـذين سعوا إليـك بباطـلٍ أعداءُ نعمتكَ التـى لا تجحدُ([1])

إن الخليفة لا يعدل فى القضية، فليس من العدل والمساواة أن يستمع إلى خصم ولا يستمع من الآخر، وهذا اتهام بالظلم والتقصير له، ثم إن الخليفة أيضا استمع إلى أقوال الوشاة، فعاقبه، وكأن الرأى لم يصدر منه - واستخدام الشاعر للمتضادات إنما أراد بذلك تنبيه الخليفة- ولما أعرض عنه الخليفة المتوكل، ولم يلتفت إلى قوله، وبقى فى السجن قابعًا، بدأ يلين ويلقى رداء الكبرياء جانبًا، ويمهد للاعتذار والاستعطاف، إذ نراه يقول:

فلازالـتُ الأرضُ معمـورةً بِعمـرِكَ يـا خيـرَ عمَّارِهـا
تبـوَّاتُ بعـدكَ قعـرَ السَّجـو نِ وقَـد كنـتُ أرثـى لزوَّارِهـا([2])

تغيرت النغمةُ، وحملت جانبًا من المدح للخليفة، ثم وصفًا لحالته التى وصل إليها، وقد تبوَّأ قعر السجون، وقد أتى الشاعر بكلمة " قعر" زيادة فى استرقاق قلب الخليفة واستدرار عطفه، علَّ جانبه يلين له، لكن يبدو أن الخليفة لم يعره اهتماما، وصد عنه صدودا، مما جعله يكثر من الاستعطاف والمناشدة، وإظهار جانب الذل والخضوع له، وذلك فى قصيدة طويلة تتعدى ثلاثين بيتًا، يقول منها:

أَقلنِـى أقالـكَ مـنْ لـمْ يـزلْ يَقيـكَ ويصـرفُ عنـك الـرَّدَى
فَمـا بـين ربِّـكَ جَـلَّ اسْمُـهُ وبينـكَ إلا نبـىُّ الهُـدى
وعفـوكَ عـن مُـذْنبٍ خاضِـعٍ قرنـتَ المُقـيمَ بـه المُقعِـدا([3])

يدعو الشاعر الخليفة المتوكل أن يقيل عثرته ويعفو عنه، ليصرف الله عنه الردى بعفوه عن عبدٍ ذليلٍ خاضعٍ لمولاه، وتصل المداهنة والنفاق بالشاعر أن يجعل الخليفة فى منزلةٍ قريبةٍ من ربه لا يسبقه إليها إلا سيدنا محمد –صلى

١ - على بن الجهم: الديوان، ص ٤٦.
٢ - السابق، ص ٣١.
٣ - السابق، ص ٧٨-٧٩.

الله عليه وسلم- حتى ولو كان الصحابة والأولياء، وقد ذهبت عظمة الشاعر وكبرياؤه أمام سطوة الخليفة، وظلمة السجن.

أما إذا تعذر الوصول إلى الخليفة أو صاحب الأمر، أو لم يعر الشاعر اهتمامًا، يضطر الشاعر السجين أن يلوذ بمن لهم دالَّة عند الخليفة، يستغيثه ويستعطفه؛ علَّه يوصل صوته إليه، ويشرح له حال السجين هذا، ومن ذلك ما جاء على لسان إبراهيم بن المدبر، وقد استغاث بمحمد بن عبدالله بن طاهر، ليتوسل إليه عند الخليفة المتوكل، ويتعهد له بكل ما عليه إذا ثبت، يقول:

ولـى حاجـةٌ إن شئتَ أحـرزتَ مجـدَهَا   وسـرَّك منهـا أولٌ ثـم آخـرُ
كـلامُ أميـرِ المـؤمنين وعطفـهُ   فمـا لـى بعـد اللهِ غيـركَ ناصـرُ
فـإن سـاعدَ المقـدارُ فـالعفوُ واقـعٌ   وإلا فـإنِّى مخلـصُ الـوُدِّ شـاكرُ([1])

يطلب منه قضاء حاجته، التى إن قضاها له سيدخل السرور قلبه، وهى أن يكلم أمير المؤمنين المتوكل فى شأنه حتى يفرج عنه، ويعطف عليه، فليس له بعد الله غير هذا الشفيع إلى الخليفة، فإن وافق القدر العفو عنه، فهذا من حظه، وإن لم يوافق، فقد أدى ما عليه، والشاعر مدين له بالشكر والود، وهذا الطريق قد سلكه أبو نواس، إذ لاذ بأحد المقربين عند الخليفة؛ ليتشفَّع له، فبعث بقصيدة من سجنه -بعد أن يئس من الخليفة- إلى الحسين بن عيسى ابن أبى جعفر المنصور، يطلب منه أن يشفع له عند الخليفة، عسى أن يعفو عنه، يقول:

رفـعَ الصـوتَ فنـادى: يـا أبـا عيسـى الجـوادَا
كـنْ عمـادًا يـا ابـنَ مـنْ كـا   نَ غِياثًـا وعمـادًا
وتَـدَاركْ جسـدًا قـدْ   مـاتَ أو قِيـلَ كَـادا
قـلْ لـهُ: إن قـالَ هـلْ تـا   بَ؟! نعـمْ تـابَ وَزَادَا([2])

يمدح الشاعر الحسين فى البداية، وينعته بالجود والكرم، ثم يطلب منه أن يغيثه، ويشفع له عند الخليفة، وأن يتدارك جسد الشاعر الذى أوشك على

[1] - يونس الشيخ إبراهيم السامرائى: تاريخ شعراء سامراء من تأسيسها حتى اليوم، ص ٢٠.
[2] - أبو نواس: الديوان، ص ٢١٧.

الموت والهلاك، وإن سأله الخليفة، هل تاب أبو نواس؟ فأخبره أنه تاب وأناب، وقد أكثر أبونواس من صيغ الأمر بقصد الاستعطاف والاسترحام.... .

أما المتنبى فقد أضعف السجن نفسيته، وتمكن اليأس من قلبه، وأصابه الوهن من جرَّاء ذلك، لذا لم يجد بدًّا من استعطاف الحاكم؛ طلبًا للعفو والحرية، يقول:

دعوتُــكَ لمـــَّا برانِـــى الــبَلاءُ   وأوهَـــنَّ رجلـــىَّ ثقــلُ الحـــــديدِ
وقــدْ كــانَ مشْــيُهُما فــى النِّعَـالِ   فقـد صــار مشْـيُهُما فـى القيـودِ([1])

ويبدو أن المتنبى قد أصابه الضرر الشديد، فذلَّ نفسه فى سبيل حريته، وهو ذو الأنفة والهمة العالية، وهو الذى يفتح عينه فلا يرى أحدا ذا قيمة-على حد قوله- قد أذلَّه السجن، وأوهن رجله القيد، فلم يجد مفرا من الرجاء والاستعطاف؛ لينال حريته.

ومن الفضاءات الأخرى التى صنعها الشاعر السجين، إظهار الشوق إلى الأهل والأصحاب، فنتيجة لحرمانه من رؤيتهم يزداد شوقه إليهم، سيما أطفاله الصغار، الذين تركهم بلا عائل يعولهم، فيتحرق قلبه عليهم، وقد يتخذهم أحيانًا وسيلة تشفع له عند الخليفة، ويستدر بها عطفه، كما فعل الحطيئة مع سيدنا عمر بن الخطاب، ومن هؤلاء محمد بن عبدالملك الزيات، الذى حبسه المتوكل فى مكان ضيق-كما ذكرنا آنفا- وجعل من أسفله المسامير، حتى يحرمه الجلوس؛ لذا لما أحس بأنفاس الموت تدنو منه، تذكر ابنته الصغيرة، وحاول جاهدًا أن يبقى أمامها صامدا قويا، لكن الأبيات تعكس ضعفه وانهياره أمام العذاب الذى يذوقه من قبل ساجنيه، يقول:

أبُنيتـــى قلِّـــى بكـــاكِ واصْـــبِرى   فـــإذا ســمعتِ بهالــكٍ مَغمُـــومِ
فـــانْعِىْ أبــاكِ إلـــى نســائِهِ واقْعــدِى   فــى مــأتمٍ يُبكــى العيونَ وقـومِى
قُـــولِى لـــه يـــا غائبًـــا لا تُرتَجَـــى   حتَّى القيامـةِ مُخبرًا بقدومِى([2])

[1]- المتنبى: الديوان، ج١، ص ٢٣٢.
[2]- محمد بن عبد الملك الزيات: الديوان، ص ٢٣١.

أبيات تعصر القلب اعتصارًا، وتذكرنا بقصيدة مالك بن الريب التى يرثى فيها نفسه، فهو حينما شعر بدنو أجله، راح يصبِّر ابنته، ويطلب منها ألا تبكى أو تجزع، إذا جاءها خبر وفاته، وبكى عليه نساؤه، فعليها أن تظل صامدة قوية، ويبدو على الشاعر القوة والتماسك، محاولا أن يسرِّى عن ابنته، لكن حديثه عن الموت، وأنه هالك لا محالة، من المؤكد أنه يثير جذعها أكثر من التسرية عنها.

والمطلع على ديوان أبى فراس يجد عشرات الأبيات التى يصور فيها شوقه إلى أهله، وشوقه إلى أمه العجوز التى كانت لا تكف عن البكاء والجزع، حتى ماتت دون أن يراها، وأبو فراس وأشواقه بحاجة إلى دراسة مستقلة، وما أورده البحث من أبيات، إنما جاءت للتدليل فقط، ومن ذلك قوله لأمه:

أيَـا أُمّ الأسـيرِ، سـقاكِ غيـثٌ، بِكُـرهٍ منـك مـا لَقِـىَ الأسـيرُ
أيَـا أُمّ الأسـيرِ، سـقاكِ غيـثٌ، تَحيَّـر، لا يُقـيم ولا يسـيرُ
أيَـا أُمّ الأسـيرِ، سـقاكِ غيـثٌ، إلـى مَـن بالفِـدا يـأتى البشـيرُ([1])

إن تكرار الشطرة الأولى ثلاث مرات، يدل على التهاب العاطفة المسيطرة على الشاعر تجاه أمه، وشوقه الشديد لها، فهو لا يملك لها شيئًا، وهو أسير فى بلاد الروم، فجاءت مناداته تعكس الحزن الشديد الذى يسيطر على وجدانه، وهذا التكرار التركيبى يؤدى إلى تكثيف الطاقات الكامنة فى النص، والتى بدورها تسهم فى تعميق رؤية القصيدة، وتعدد إمكاناتها، وطاقاتها الدلالية، وإصرار الشاعر على التكرار يبين أن أمه كانت الحياة بالنسبة له، فبموتها فقد حياته، وصدم صدمة شديدة، جعلته يظهر كالمتخبط الذى لا يدرى ما يفعل.

أما ابن مقلة الخطاط([2]) وهو رجل ذو قدرات ثورية هائلة، وقد اشتهر بالتآمر، والقدرة على الاستتار، والتخفى من السلطة، واللجوء إلى التنكر والخداع، وقد أدى ذلك فى النهاية إلى سجنه وقطع يده اليمنى([3])، وفى السجن

[1] - أبو فراس الحمدانى: الديوان، ص ١٦١.

[2] - هو: محمد بن على بن الحسن بن عبدالله بن مقلة، ت ٣٢٨هـ، انظر ترجمته فى: هلال بن ناجى: ابن مقلة "خطاطا وأديبا وإنسانا"، ط/ دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، سنة ١٩٩١م.

[3] - هلال بن ناجى: ابن مقلة "خطاطا وأديبا وإنسانا"، ص٣٩.

انقطع عنه الأخلاء والأحباب، فقال فى ذلك قاصدًا أبا عبدالله محمد بن إسماعيل الكاتب، الملقب بالزنجىّ، الذى انقطع عنه خوفا:

تُـــرى حُرِّمــتْ كتْــبُ الأخِــلاءِ بيــنـهُمْ   أبنْ لى، أم القرطاسُ أصبحَ غاليًا؟
فَمـا كــانَ لَـوْ ســاءلتَنَا كيـفَ حالنُـا؟   وقـدْ دهمتنــا نكبــةٌ هــى مــا هيـــا
صَــديقكَ مَــن راعـــاكَ عنــدَ شَــديدَةٍ   وكـلٌّ تـراه فـى الرخـاءِ مُــراعيا
فَهبــكَ عـــدوِّى لا صـــديقى فـــربَّمَا   يكـادُ الأعَـادِى يرحمـونَ الأعادِيـا([1])

يستفهم ابن مقلة من صديقه عن انقطاعه عنه، وعدم السؤال عليه، بادئًا بسؤال استفهام استنكارى، بأن هل المراسلات بين الأصدقاء قد حرمت؟ أم القرطاس قد ارتفع ثمنه، فحجبت عنى كتبك؟ ثم يعتب على صديقه، الذى تخلى عنه فى نكبته الشديدة تلك، فالصديق وقت الشدة والضيق، لا وقت الوسع والرخاء، وما حل به من نكبة تجعل قلوب الأعداء تلين وترحم، فما بال الأصدقاء؟! والأبيات قوية، تدل على تمكن من ناصية الشعر، وقدرة على الإبداع، وفن الحكمة، كما تعكس ما آلت إليه نفس ابن مقلة فى السجن.

أيضا لمَّا حُبس إبراهيمُ الموصلى-ت ١٨٨هـ- راح يشتكى من قلة الأصدقاء، وانقطاعهم عنه، ويقصد ولدىّ الخليفة، فقد تخليا عنه وقت حبسه، وهما أقدر الناس على إطلاق سراحه من سجنه؛ لقربهما من الخليفة، فقال:

كثيـرُ الأخـلاءِ عنـد الرخـاءِ   فلمَّــا حبســتُ أراهــم قلــيلا
لطـولِ بلائــى مـلَّ الصـديقُ   فـلا يـأمنْ خليـلٌ خليــلا([2])

إن الضغط النفسى الذى لاقاه الشاعر فى السجن، جعله ينطق بالحكمة والبيان، والبيتان مؤثران فى نفس القارئ، وتدفعه للتعاطف مع شاعره، فآثار دموع الشاعر وبكائه واضح فيهما، كذلك حزنه الشديد من تلك الصدمة التى تلقاها من أصدقائه، الذين تخلَّوا عنه وقت الشدة، وملُّوا السؤال عنه لطول حبسه، أما وقت الرخاء فهم كثر، كعادة البشر، لكن ما فائدتهم إن لم يؤازروه

---
[1] - هلال بن ناجى: ابن مقلة "خطاطا وأديبا وإنسانا"، ص ٥٤.
[2] - أبو الفرج الأصفهانى: الأغانى، ج٥، ص ١٦٢.

وقت محنته؟! والبيتان عبَّرا عن حقيقة واقعة، زادتهما جمالا فـ" الأثر الإبداعى لا يكتسى دلالته الحقيقية إلا عند إندماجه فى شق الحياة أو السلوك"([1]).

ونجد ذلك أيضا عند أبى الحسن التهامى، الذى وجه رسالة عتب إلى صديقه محمد، يذكره به، ويذكره بالأيام الخوالى، والعيش الطيب بين مصر والشام-كما ورد فى القصيدة- يقول:

وأعظـمُ مــا بــى يــا مـــحمَّدُ أنَّنَــا بـأرضٍ وفيمـا بيننـا البعدُ والهجـرُ
فــلا ســائلٌ عنِّــى فأعــذرُ صـــاحبًا ولا لـكَ فـى تـركِ السؤالِ بنـا عـذرُ
عتبتُــكَ عتــبَ الــذَّاكرِ الــوادَّ إذْ غَـــدَا أسيرًا ومحبوسًـا وقد نالـه ضرُّ([2])

فبعده عن صديقه سبب له ألمًا شديدًا، ويعتب عليه بعدم السؤال عنه، ولا يلتمس له فى ذلك عذرًا، فالشاعر سجين، والسجين دائما نراه مأزومًا، وهو محق؛ لأن السجن "ليس بناءً خارجيًا مرئيًا، ولا حيزًا محدود المساحة، ولا تركيبًا من غرف ونوافذ، بل هو كيان من الفعل المتغير، والمحتَوِى على تاريخ ما"([3]).

أما أبو نواس فقد بعث رسالة إلى صديقه الفضل بن يحيى يشكو قسوة السجان، وذلك فى بداية سجنه، فنراه يقول:

وُقيــتَ بــى الــرِّدَى زدْنــى قِـــيوداً وثــنِّ علــيّ ســوطاً أو عمــودا
وَوَكِّــل بــي وبــالأبوَابِ دُونِـــــى مـن الرُّقَبـاءِ شـيطاناً مَريـدَا
وأعْـفِ مَسـامِعى مـن صـوتِ رجسٍ ثقيـلٌ شخصُـهُ يَـدعى: سـعيدًا
فقــدْ تــركَ الحديــدَ عــــلىَّ ريشًــا وأوْقَـرَ بُغْضُــهُ قلبـى حديـدا([4])

يصور أبو نواس أن الحبس لا يهمه، ولا يلقى بالا لشىء، لكنه يشكو السَّجان-سعيدًا- من هول ما يلاقيه منه، ومن كثرة الحديد والأثقال التى يوقرها عليه، وأبو نواس محق فى شكواه تلك، فالسَّجَّانون على مرِّ العصور، "أناس

---

[1] - د.جابر عصفور: نظريات معاصرة، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٨م، ص ١١١.
[2] - أبوالحسن التهامى: الديوان، ص ٢٦٢.
[3] - حنان حمودة: الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، ط١/ عالم الكتب الحديثة، عمان – الأردن، سنة ٢٠٠٦م، ص ٢٣.
[4] - أبو نواس: الديوان، ص ٢١٩.

غلاظ القلب، ضالعون فى الجريمة، ممتهنون للعقاب، خشنوا الطباع"([١])

والأبيات توضح ما كانت عليه أحوال السجون والسجناء فى العصر العباسى، فهذا شاعر الخليفة يلاقى ما يلاقى، فما بال غيره من الناس، كما أن الأبيات توضح قسوة السَّجَّانين، وهذه شكوى نراها فى كل الأعصر من الأدباء الذين ذاقوا ويلات السجن، وعبروا عن هذا الألم، وكأن الظلم يقسى قلوبهم، ويملأها غلظة.

****

الخاتمة:

وبذلك يكون البحث قد وصل إلى نهايته، وخلُص إلى بعض النتائج، التى أرجو أن يكون فيها نفعًا- بإذن الله تعالى- وهى كالتالى:

- تعد النصوص الشعرية التى قيلت من وراء القضبان فى العصر العباسى مادةً دسمةً للدراسات النفسيَّة والوجدانيَّة للشعراء؛ لأنها عبَّرت بصدقٍ عن خلجاتهم النفسية ومكنوناتها، كما تعد تأريخًا لفترة من حياتهم، هى الأكثر تأثيرًا، وشهادةً على الواقع السياسي والثقافي للدولة العباسية.
- ينصبُّ شعر السجون فى العصر العباسى فى أغراض محددة لا يكاد يتعداها، كمناجاة الله والأنا، والاستعطاف والرجاء، والعتب واللوم، والشوق إلى الأهل والأحبة.
- فجَّرَ السجنُ الطاقة الإبداعيَّة والفنيَّة داخل الشاعر العباسى السجين، فعكس شعره تجربةً صادقة الأحاسيس والمشاعر، عبَّرت تعبيرًا حقيقيًا عن نفس ملتاعة مقهورة .
- أفلح الشعراء العباسيون الذين سُجِنوا فى انتقاء معجمهم الشعرى، الذى جاء مناسبًا لحالتهم النفسية، وما اعتراها من ضعف وذل أحيانا.
- استحضر شعراء السجون فى العصر العباسى الذات الإلهية فى شعرهم، فالله هو ملجأهم وملاذهم مما لحق بهم، كذلك استحضروا أناهم، والحديث إليها فخرًا وتصبرًا ووصفًا لما هم فيه.

[١] - سالم المعوش: شعر السجون فى الأدب الحديث والمعاصر، ط١/ النهضة العربية- بيروت، سنة ٢٠٠٣م، ص ٥٠٠.

- تم توظيف الصور الفنية التى كان لها حضور واسع عند شعراء السجون فى العصر العباسى، إذ أسهمت هذه الصور فى تكثيف اللغة الشعرية، وتحميلها مضامين تعبيرية مؤثرة، استطاعت أن تجعل شعرهم رمزًا للقوة والصمود والخلود.
- يقدم شعر السجون فى العصر العباسى صورة قاتمة، تعكس معاناة الشاعر وظروفه المعيشية الصعبة فى محبسه، وتصور شدة شوقه وحنينه إلى الأهل والأحبة، وتوَجج مشاعره نحوهما.
- إن أصوات الشعراء العباسيين الذين سُجنوا لأمور سياسية، كانت أشد وقعًا وتأثيرًا فى النفس من أصوات الشعراء الذين سُجنوا لأمور أخرى، كالسرقة وشرب الخمر والمجون وغيره.
- الانكسار والذل والإقرار بالذنب - وإن لم يرتكبه الشاعر- سمة بارزة فى هذا اللون من الشعر.
- استطاع البحث أن يكشف عن العلاقة القوية بين التجربة المريرة التى يخوضها الشاعر، وعملية الإبداع عنده.

أولا: المصادر والمراجع:

- أبوالفرج الأصفهانى: الأغانى، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، سنة ١٩٩٦م.
- د.جابر عصفور: نظريات معاصرة، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، سنة ١٩٩٨م.
- د.حسن منصور أحمد وآخرون: دواعى سجن الشعراء فى العصر العباسى الأول، مجلة جامعة كردفان للآداب والدراسات الإنسانية- السودان، العدد الثانى، يونيو ٢٠١٣م.
- الحصرى: زهر الآداب وثمر الألباب، ت: صلاح الهوارى، ط/ بيروت، سنة ٢٠٠٩م.
- حفيظة أحمد: بنية الخطاب فى الرواية النسائية الفلسطينية، دراسة نقدية، ط/ فلسطين، سنة ٢٠٠٧م.
- حنان حمودة: الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، ط١/ عالم الكتب الحديثة، عمان – الأردن، سنة ٢٠٠٦م.
- الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، ط/ دار الكتب العلمية-بيروت (د.ت)، ج٨.
- رضوى عاشور وآخرون: أدب السجون، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، سنة ٢٠١٤م.
-سالم المعوش: شعر السجون فى الأدب الحديث والمعاصر، ط١/ النهضة العربية- بيروت، سنة ٢٠٠٣م.
- سامح إدريس: المثقف العربى والسلطة، ط/ دار الآداب، بيروت- لبنان، سنة ١٩٩٢.
- شاكر فريد: قراءة عاجلة فى أدب السجون، ط٢/ مطبعة القدس- فلسطين، سنة ٢٠١٢م.
-شمس الدين بن خلكان: وفيات الأعيان، ت: د.إحسان عباس، ط/ دار الثقافة – بيروت، سنة ١٩٨٣.
- صالح عبدالعظيم: سوسيولوجيا الرواية السياسية، ط١/ الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، سنة ١٩٩٨م.
- الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ت: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط٢/ دار المعارف، سنة ١٩٦٧م.

- طه عبدالباقى سرور: الحسين بن منصور الحلاج، شهيد التصوف الإسلامى، ط/ القاهرة، سنة ١٩٩٦م.
- عامرعبدالله عامر: تجربة السجن فى شعر أبى فراس الحمدانى، والمعتمد بن عباد، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا- جامعة النجاح الوطنية- فلسطين، سنة ٢٠٠٤م.
- عبدالرحمن رأفت الباشا: على بن الجهم "حياته وشعره"، ط/ مطبعة شركة التمدن الصناعية- القاهرة، سنة ١٩٦٥م.
- عبدالرحمن منيف: الكاتب والمنفى، ط٣/ المركز الثقافى العربى- الأردن، سنة ٢٠٠١م.
- عبدالله الخطيب: صالح بن عبد القدوس البصرى "عصره، حياته، شعره"، ط/ بغداد، سنة ١٩٩٦م.
- د. محمد مصطفى أبوشوارب: شعر إبراهيم بن المهدى وأخباره ونثره، ط١/ الإسكندرية- مصر، سنة ٢٠٠٨م.
- د. مصطفى الشكعة: الشعر والشعراء فى العصر العباسى، ط/ دار العلم للملايين- بيروت، سنة ١٩٩٣م.
-مى أحمد يوسف: أدب السجون فى العصر العباسى، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة اليرموك- الأردن، المجلد العاشر، العدد الثانى، سنة ١٩٩٥م.
-ميشال فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ت: على مقلد، ط/ بيروت-لبنان، سنة ١٩٩٠م.
- نصر الدين صوالح: مقاربة بنيوية تكوينية مقارنة فى أدب السجون، ط/ الجزائر، سنة ٢٠١٦م.
- هلال بن ناجى: ابن مقلة "خطاطًا وأديبًا وإنسانًا"، ط/ دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، سنة ١٩٩١م.
- يونس الشيخ إبراهيم السامرائى: تاريخ شعراء سامراء من تأسيسها حتى اليوم، ط/ دار بصرى- بغداد، سنة ١٩٧٠م.

ثانياً: الدواوين الشعرية

- ديوان ابن المعتز، شرح: محيى الدين الخياط، ط/ مطبعة الإقبال- بيروت، (د.ت).

- ديوان أبى الحسن التهامى، ت: د.محمد عبدالرحمن الربيع، ط١/ مكتبة المعارف- الرياض.

- ديوان أبى دلامة، ت: د. إيميل بديع يعقوب، ط١/ دار الجيل- بيروت.

- ديوان أبى الطيب المتنبى، ت: عبدالرحمن البرقوقى، ط٢/ دار الفكر – بيروت، سنة ٢٠٠٢م.

- ديوان أبى العتاهية، ت: كرم البستانى، ط/ دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت، سنة ١٩٨٦م.

- ديوان أبى فراس الحمدانى، شرح: د. خليل الدويهى، ط٢/ دار الكتاب العربى- بيروت، سنة١٩٩٤م.

- ديوان أبى نواس، ت: سليم خليل قهوجى، ط/ بيروت، سنة ٢٠٠٣م.

- ديوان صالح بن محمد العلوى، ت: مهدى عبدالحسين النجم، ط١/ مؤسسة مواهب للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، سنة ١٩٩٩م.

- ديوان على بن الجهم، ت: خليل مردم بك، ط/ لجنة التراث العربى – بيروت، سنة ١٩٨٩م.

- ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، ت: د. جميل سعيد، ط/ المجمع الثقافى- الإمارات العربية المتحدة، سنة ١٩٩٠م.

****

تم بحمد الله وفضله